ما يصيب النساء

مجموعة قصصية

بقلم

عبير عبد الله



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اســم الكتاب : ما يصيب النساء

المــــــــؤلف : عبير عبد الله

رقــم الإيداع :

الترقيم الدولي:



الطبعة الأولى ٢٠١٨

إهداء

إلى كل سندريلا لا تدرى لماذا أعطتها الحياة.

ولا لماذا أخذت منها.

يقينها أن الله موجود يملأ قلبها وينير طريقها.



حين يراوح السرد بين الأرضي والعرفاني

تنجذب القاصّة (عبير عبدالله)، في مجموعتها القصصية الجديدة، إلى الفضاءات المركزيّة الشّاملة التي تنجذب إليها القاصة المصرية المعاصرة في الأعم، بكل ما يحويه هذا الفضاء الرحيب من الانشغالات والهواجس والصِّراعات - المستترة والمعلنة - لكن هذه المجموعة نجحت في تغذية هذا الفضاء، بتداخلات خيوطه وخطوطه، بفلذات رائعة من الحس الصُّوفيّ الشفيف الذي يطبع قسمًا معتبرًا من قصص المجموعة، فضلًا عن ضغط القاصة على ما تعتبره - فيما يبدو - هاجسًا رئيسًا في تعاطيها لمفردات الوجود الإنساني والمرحلة الحضارية المعاصرة، أعني جهد التوفيق بين ميراث حضاريّ يتعين صونه والذيادة عن ولاءاته، ومستجد عصريّ متنوع متدفق لا يكف عن التطوُّر والتحوُّل، يتعين — بالقدر ذاته - مجاراته ومسايرته دون استخذاء أو إبطاء .

ولا جدال أن هذا الانشغال الثاني متجذّر- بقوة ورسوخ - في أكثر المشروعات الحضارية المطروحة - عربيًّا - منذ مطالع القرن الماضي، فهو انشغال يدلي بصلة وثيقة إلى أطروحات (محمد عبده) و(ابن باديس) و(الكواكبي) ورصفائهما وصولًا إلى (محمد أركون) و(زكي نجيب محمود) و(الشّرقاوي) ومن طبقتهم من المفكرين والمبدعين، في الأطوار الحضارية العربية اللاحقة .

تأثرت بنْية السرد structure ذاتها - لدى عبير عبدالله - في بعض المشاهد بقوالب البنية الإبداعية الماثلة في نصوص المتصوفة، الذائعة في التراث العربي بكل أنساقها التقيمية المعروفة، بل بمصطلحاتها المتبناة في كثير من الأحايين .

وتبدى هذا النزوع الصّوفي الظاهرة قصة : (فخ الصدق) – مثالًا لا حصرًا – حيث تمثّل ذلك بوضــوح في تجزئة القصــة إلى (دخول أول) و(دخول ثانٍ)، وكأن الراوي في ســباحته الســردية المثيرة التي تجوس في أكثر من رقعة، يجتاز بنا معراجًا علويًّا، ذا آفاق أثيرية متنوعة الرؤى والطبقات، أو (المواجيد) (وفقًا لمصــطلحات المتصوفة !)

وقعت قصــة الاســتهلال بموقع الســيرة الذاتية المروية، بســخاء ملحوظ في التفاصــيل، حين آثرت القاصــة توظيف الراوي بضــمير المتكلم (first person narrative)، مؤكدة في مســار التدفق السّــردي، ما أعتبره دلالة تمايز ومغايرة (.. يسيرون عكس سيري ..) حيث يستدعي الراوي أقباسًا من بنية النّص التراثي الصوفي ممثلًا فيما أســماه (الدخول الأول) ويتكامل مع هذه الســمة البنيوية، ســمة أخرى مضمونية تستدعي المسار الصّوفي بتمامه، بكل مكابداته ومواجيده : (.. دخلت الدنيا لا أعرف إن كانتْ لعينة، أم هي صورة من الجنة ..) .

وركز الراوي، في إضاءته للقطة المستهدفة ،على فكرة رحابة المضمون الإنساني الذي يمكن أن يشمل الجميع بعباءته السّابغة : (.. أنا اليوم أحمد أو حنّا سيّان ..) بما يضيف إلى الهاجس الأساسي، حشدًا من الهواجس الثّانية المصاحبة، أبرزها ما يعرف بهاجس (الآخر) قراءةً وقبولًا .

تطرّق الرّاوي إلى تيمة المحبوبة المشتهاة وفارق السن، وهي تيمة لا يمكن أن تدعى لذاتها – أو ندعي لها – الجدة التامة، لكن الراوي منح المشهد تأطيره التجديدي من خلال تحميل (المحبوبة) – رمزيًّا – قســمًا من الدلالات الماورائية المواكبة، نقلتها بالضرورة من فضائها الحرفي إلى آفاقها الرمزية الجديدة .

وأمعن النص، لاحقًا، في الانعطاف برؤاه ومســارا ته، إلى أقواس اليوتوبيا والأنساق العلوية : (.. كانت لي جنة، وكنت أنهارها ..)

ولا غرو، مع ترسيخ تجربة التناص الصوفي الكبير، أن يستوحي التعبير الأدائي شيئًا من روح التعبير الديني، برفيفه الحيّ : (.. أنطقت الحجر، وما أنا بحجر ..!)قبل

أن يباغتنا الراوي بانعطافة متجددة - حادَّة – إلى (الشـبكة العنكبوتية) و (عوالم التغريدات)، على نحو يرسّـخ إلى جوار التيمات التُّراثيَّة ما أحسـبه حضـورًا سـاطعًا للعوامل الحضـارية المعاصـرة ، وأبرزها - كما يلوح لنا - (فضـاء النت)، بعلاقاته المتشابكة وجدلياته المختلفة .

وإذا ما عادت بنا تيمات السّرد إلى مناورات العاشقين – كرًّا وفرًّا - فإن ما أسماه الراوي : (الدخول الثاني) قد رسّخ - مجددًّا -الحالة الصوفية المستدعاة وأحال إليها بقوة .

ولم يكن بدعًا، مع تجذر الأجواء الصـوفية المهيمنة، أن تمتد قصـة : (دعاء) بالخيوط ذاتها، ترسخها بقوة، وتحوّم في أبهائها وآفاقها العرفانية المتَّصلة ،مع ربطها – كما ألمحنا - بالانْشـغالات المعاصـرة المتواشـجة مع راهننا المأزوم، حيث يلحظ المتلقي ا ستهلال النص، هذه المرة، بنبض حواريّ، أعني مثول جملة حوارية يصدّر بها الراوي نصه، قبل أنْ يقع تثبيت اللقطة على مشهد الأب الذي يضع الحلوى أمام ابنائه، وهو ما ربط المشـهد السـرديّ بالفضـاءات الأسـرية الدمثة، التي تقتنص سـماتها من نثريَّات الحياة اليومية، ممثلة في (أطباق الفاكهة) و(أقداح الشَّـاي) والمسـامرات المؤنسة التي تعرفها الطبقة المتوسطة، في الحاضرة والقرية على السَّواء .

ويلح الراوي - مع تناص الأحداث والوقائع - على المطامع المادية الجامحة التي تسـتهدف مال العائل الكبير للأسـرة، بما يحيلنا، مع تبلور أزمة الشـخوص، إلى مستجدات الظرف الاقتصاديّ وما أحدثه في روح الأسرة المأزومة المنافحة بأظافرها، المحاصرة بالأزمات : (.. طردت لأن أبي البنين والبنات لم يستطع أن يفتح بيتين ..)

ومع قصة (ما يصيب النساء)، يعاود الراوي الاستهلال، مجددًا، بالديباجة شبه الصوفية، كأنما نقف بإزاء قطب صوفي، ينماع ذائبًا في مواجيده :

(لزمت باب الكريم، وكلي أمل في فستان أبيض ..)، ويتأكد مع تباشير الاستهلال معنى أزمة الذات المترددة بين (الأرضي) و (العلوي) : (المسافة بيني وبين الدنيا

بعدت، لكني خلقت للدنيا ؛ فأين المفر ؟..)، ونفهم هنا أنّ بؤرة الأزمة تتمثل في بروز قدر من الفروق المعرفية والعلمية بين (المرأة) و(زوجها المرتقب) يجنح بالكفة إليها بوضوح .

وعند هذا المنعطف تنجذب العوالم الســردية إلى انشــغالات شــديدة الفرادة، تصلها ب (النسوية) (feminism) في ذراها المكثفة الوا ضحة حيث تقول المرأة : (.. في كامل زينتي ولياقتي، حتى تتم فرحتي بك، فأنا يصيبني ما يصيب النساء !)، ولا مندوحة، مع هذه المحطّة المختارة، عن أن ينعطف المتلقي إلى مقارنة دالة بين هذا التعبير الكنائي المهذب بخفره البادي :(ما يصيب النساء ..)، وبين تعبيرات إيروتيكية خشنة في شريحة من الأداء السّردي العربي المعا صر، الموغل في فضح خبيئة الجسد وانتهاك مســاحاته بجرأة زائدة، حيث نفهم أنّ نبذ الذرية ورفضــها كان ســببًا في انقطاع الوشيجة بين المحبين .

وتفرض قضية (اللُّغة) ذاتها، بتفرعاتها المتواشجة، في شبكة العلاقات الجديدة، العديدة مع المع المكونات الـ سردية، وهي التفرعات التّي تر سو بها، بالـ ضرورة، عند ثنائية (الفصحى) و(العامية).

ويتبدى ذلك بالخصــوص، في قصــة (كله عند العرب صــابون)، حيث يقول الراوي : (.. مالي أنا وهذه الشغلة الطين ؟..) بما تحمله العبارة من ا ستدعاءات دمثة، خفيفة الظل من عـصير الدَّارجة، بـشكا سها ونزقها، وهو ما يذكرنا – مع الفروق الفنية المعتبرة – بالموازييك – اللغوي المتنوع الذي كان يستخدمه، ببراعة مشهودة، الراحل (يحي حقي) حين يقول، مثالًا لا حصـرًا : (فضـفضـوا على كسـعة عشـر ..) فيدمج المفردة الشعبية في نسيج المتن، المشدود إلى الفصحى في الأعم، ليصنع بجسور اللغة ومستوياتها الأسلوبية حائزًا ملحوظًا يصل السرد بأتربة الطريق وأفق الواقعية الساطعة بقوة ونصوع .

ولا جدال أنَّ حفول العنوانات، بمعدلات تكراريَّة ملحوظة، بمفردات من قبيل : (بعبع) / (أمنا الغولة وبقية المتاع) / (أمنا الغولة والعبيطة)، لهو صـنيع يشـي في تجسداته الفنية والنفسية، بهاجس الخوف العريض الذي يستوطن الإنسان المصري

المعاصر المحاصر بنزق الإرهاب الأسود أو الضغوط المتنوعة للمرحلة، حيث ترتبط المفردتان :(بعبع) و(أمنا الغولة)، بالمخيال الشـعبي)، بما يفيضـه من أخيلة خصيبة، وتهويمات وأنساق ميثولوجية متنوعة بالغة الثراء .

ولم تذهل القاصـة عن أن تفسـح في سـردها الماثل، موضـعًا معتبرًا لما يعرف، ذيوعًا، ب (قصـة / الومضـة)، التي تُذيَّل، في تكويناتها البنيوية الملحوظة، بخاتمة، قائمة على المباغتة والإدهاش، كما أتى في قصـة (ذهاب) أو ومضـة (النخلة)، التي وقعت في سطر واحد .

وقد نفتح قوسًا نقديًّا لنتساجل – أونختلف – مع بعض ما يطبع بعض القصص من روح التقريرية والمباشـرة أو تميع الخط الدرامي الأسـاسـي في زحمة التفاصـيل وحشـد الرؤى ،لكن هذا لا يمنعنا من الإقرار بأن القاصـة قد خطت بسـردها الجديد خطوة معتبرة ذات بهاء وحضور، يضمنان لها موقعًا مرموقًا في رهانات السباق السردي الطليعي الجديد .

حسام عقل

أ.د الأدب والنقد بجامعة عين شمس

فخ الصدق

مشيت في طريقي، أي طريق؟!

لا أدري، أنا حائر!

كلما مررت بجماعة وتخطَّيتُهم، وجدتُهم يمشون عكس سَيري!

اعتذرت لهذا، وابتسمت لذاك، تحججت بحُجج أعلم أنها واهية، وعبست في وجه ذاك المتفحص المتسائل.

لماذا لا أقدر على الدخول؟!

الدخول؟! لعل الله يغفر لي!

دخول أول:

لمَّا لم أجد نفسي معهن، تشاغلت بعملي ودراستي، ولكن ما أشدَّ ما ينقصني!

دخلت هذه الدنيا لا أعرف إن كانت لعينةً أم هي صورة من الجنة، لم أستطع الصبر للوصول إليها سبيلًا؟!

دنيا مفتوحة:

أنا اليوم أحمد أو حنًّا سيَّانِ، وغدًا الشيخ محسن، أو حتى خديجة أو ليان! دنيا واسعة لا يحدُّها حدٌّ، ولا يحيط بها إنسان.

استمتعتُ وأمتعتُ، تفننتُ وحذَقتُ، حتى تعديتُ واحترفتُ!

أقول ما أريد، وأصمُّ أذني عمَّا لا أريد، أسمع ما يلذُّ لي ويشجيني، حتى وقعتْ في دائرتي، بل في شباكي.

رؤية أولى:

هي على قدر لا بأس به من الجمال، جذَّابة ذكية، «قفشاتها» تذكي النفس، وتزجي نارًا تأبى أن تنطفئ، تشعلها ببراءة وبراعة!

صممتُ وثابرت.

حيَّرتْني، خيَّرتْني، قلتُ: بل هي، وليذهب مَن سواها إلى الجحيم.

لم أُخفِ عنها.

- فرق السن صغيرتي، بل أميرتي.
- لا أرى إلا فارسًا قد أتى على حصانه يريد أن يتخلى عني ويتركني.
- ما عاش مَن تركَك، أنا لم أُولَد إلا الآن.
- ولا أنا.

وكان ما كان:

كانت لي جنة، وكنتُ أنهارها، أنام وأصــحو على أنفاســها، وجهها على مخدَّتي، وصوتي في آذانها، وإذا ما انتهينا من عملي ومن درسها، اختلسنا لحظات هي عين الهنا، تفسحنا وارتوينا حتى انتهينا.

وا صلنا حياتنا، سنة وراء سنة، لم تخلُ من ضيق ساعة أو مشاحنة، لكنها لي؛ فأنا كما أنا.

لكن شيطاني هداني وا ستخدمني، فا ستخدمتُ سلاحي، تعرفت على هنا و شذا ورئيفة وسما، حتى أم ميدو وأستاذة ليلى، ودكتورة سلمى أم إليا وبيشوي، وأبو النجا.

هذه ناقشتُها و سحْنا في ريا ضة عقلية ومذاهب فقهية أ ضافتْ إليَّ، وإذا ما انتقلتُ إلى غيرها تباهيتُ وقلتُ: أنا مَن أنا؟!

هذه جاذبيتها أنطقتْ الحجر وما أنا بحجر! وهذه بدلالها وجمالها أ سرتني، وتلك بفجرها وغنجها أشعلتني، وجادت عليَّ ببعض قطراتها، وهذه وتلك....

لكنها هي مَن اســترحتُ على ضــفافها، شــعرتُ أنها قطعة مني أنا، مهما ســحتُ ودرت، وصُلت وجُلت، فلا أعود إلا لأرتمي في أحضانها!

نســيتُ ذات مرة تغريدة إحدى معجباتي – (ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع) – خانني حسن التخفي وحُسن التخلص، ولم ينفعني أي (حظر)، أو حتى (قرصنة).

قرصنة:

رغم ذكائي وحنكتي، وحرصي ألا يتصل أيّ من يخصني من أصدقائي بمن يخصها، وأن ر صيد دخولي لأيّ من حجرات الدرد شة مفتوح؛ فقد التفت الـ شبكة العنكبوتية حول رقبتي وانكشفتُ، وقد كنتُ أول من فتح الأبواب، وهي أول من تسرّبَ إلى مسامي وذاقت قطرة العسل وقطعة السكر .

تصميم:

صـــمـمتْ أنْ لا رجعة، صـــمـمتُ ألا أعيش دونَها، مســحتُ كل الأســماء والشخصيات، أحرقتُها، ألقيتُها في بئر ليس لها قرار، سلمتُها المحمول الخاص بي مع جهاز اللاب توب، وكل ما لديَّ من أجهزة شؤم أفسدت علاقتنا، اعتذرتُ لها وقبَّلت رأســها ويديها، وهَممتُ بتقبيل قدميها، أقســمتُ ألا أعود، وإن عدتُ لا تَعُدْ، هذه الصغيرة التي كانت لي فريسة أصبحت أنا فريسة لها!

• حبيبتي، ما بيننا لا يصلحه الدهر كله، وليس هناك مَن يستطيع أن يَحول بيننا!

سأخطبك و سنتزوَّج إن شاء الله قريبًا في الميعاد الذي تُحدِّدينه أنت وأهلك، لن أترك ســاعة لأنامها، ســأعمل ليلًا ونهارًا؛ كي تكوني لي حلالًا يا حبيبتي، كفى ما كان، ولنصلح ما فسد، لن تكوني لغيري أبدًا، أنت تعلمين! كيف؟! وهل تصلحين لغيري؟

دمعة كبيرة تحجَّرتْ ساعة، ثم انحدرت، تبعها شلال لم تستطع إيقافه، ولم أقوَ على تدفُّقه.

احتضنتُها لتُطفئَ لهيبَ دمعها، وأستعيد آخر ذرة في تحمُّلي بعد أن أطاحتْ بها.

صدَّتني بقوة وصلابة لم أَعهدها، بل لم أتوقَّعها!

• ولو، لن أكون لك، ثم بتلاشٍ، ولا لغيرك كما تعرف.

• في هذا موتك الذي هو موتي، كيف ستكملين حياتك إن كانت هذه حياة؟!

• ليس شأنك.

وضعت في يدي وردة ودبدوب وعطرا جمع يومًا بيننا.

وفرَّتْ هاربةً، هربَ دمي وزاغ عقلي، لا حياة لي بدونها، حرقتْ كل ما كان بيننا من وسائل اتصال، أغرقت جميع مراكب حبِّنا، سافرتْ لإحدى قريباتها، لم أستطع العثور عليها، كلَّمتُ جميع صـــديقاتها، فلم أصـــل إليها، ذهبتُ إلى أمها وأطلعتُها على ما كان بيننا، لم أُخفِ شيئًا، حتى ترجعها عمَّا في عقلها.

ثارتْ وماجتْ، ثم استكانتْ قائلة:

- فكَّرتُ و حاولت معها، فلم ينفع عقابًا، ولا حتى تعذيبًا، ولا نكرانًا ولا... ولا..

رجعتُ إليها مرارًا ولم يتعدَّ جوابها: (عقلها في رأ سها تعرف خلا صها)، صممت ألا تكون لك ولا لغيرك، فلن تغش ولن تخدع.

• وستُضحي بأن يكون لها ولد؟!

بكت أُمها وانتحبت حتى صـــارت ورقة شـــجر جافة تتقاذفها الرياح وهي على رأيها!

دخول ثانٍ:

صـــليتُ في المســـجد، تضـــرَّعت إلى الله، واســـتغفرته واســـترحمته أن يغفر زلاتنا، ويجمع بيننا في خير، هي صـــغيرة غريرة، حتمًا ســـتندم حين لا ينفع الندم، وندمي أنا أشد!

هل أكون قد خدعتها أم خدعت نفســـي؟ لم أعُدْ أُفارق المســـجد إلا لعملي أو إلى أُمها، فأنا ما زلت أُحبها، وأعلم أنها تحبني، أخاف عليها مما حلَّ بنا، قد أصـــابها هي، وأفســـد عليها حياتها، هي فتاة ليســـت كأي فتاة، قرَّة عيني، لم أكف عن تتبُّعها، ولا عن حبِّها، وقد تبتُ إلى الله.

لكني وجدتها بألف وجه وألف شخصية، هداها شيطانها إلى ا ستخدام سلاحها، تعرَّفت إلى مؤنس، ومحمود، وسامي، ورامي عبدالموجود، ولمعي أبو خلود، ودكتور فهمي، وأستاذ رضا ، وعم عبدالمقصود.

صورها التي لا تُفصح، بل تَفضَح!

كلماتها التي تشق الحجر الصوَّان ترهق وترهف.

هذا تماشيه وذاك تقابله.

تُلقي بشباكها فتَمتلئ، ثم تُلقي بثقلها، لا تَهتم ولا تبالي.

أأكون أنا السبب؟! أنا السبب! ارحمنا يا رب!

رحاب

زهقتُ من الوقفة فى الطريق، لم يعد المقعد الصغير الذى يطوى ويبسط يرضيني، نظراتهم تقتلني، يتجسسون عليّ، يقولون: جئنا لمساعدتك أنت منا، ونحن منك !.

أشكرهم برفق وأصدهم:

– أنا لى ابنة اسمها رانيا، عمرها ثلاث سنوات، أتركها لأمي فتزعجها بشقاوتها، مشغولة أنا بها طوال اليوم حتى وأنا فى الشغل، لكن ما باليد حيلة .

– ما باليد حيلة ؟!..

– نعم، زوجي مسافر لكن طبعًا يرسل لى ودائم السؤال عنّي وعن ابنتنا رانيا التى لا تكف عن ترديد اسمه وسؤالي عنه كل يوم، حتى أنها أسمت الدبة التى أحضرها لها (سيد) على اسمه.

وقفتْ سيدة بجوار عامود النور الذى حددوا لى فرش البضاعة بجواره، ثم وكأنها تكلم نفسها أخرجت من حقيبتها ورقة وقلمًا وراحت تنقل كلامًا بالعربية والانجليزية لا أعرف معناه، ولمّا رأيت جديتها وابتسامة ساخرة على وجهها اقتربت منها وسألتها:

– ما هذا الإعلان الموجود حولى فى كل مكان؟ كثيرون يسألونني عنه وأنا لا أعلم عنه شيئًا .

هذا نصب مثل كثير من النصب الذى حولنا؛ لكن لا بأس من النظر فيما ورائه، دورة تدريبية للتحكيم.. يعنى للحفاظ عن حقوق الغلابة.. هاها.. أفلح أن صدق .

وهل يمكنني الاستفادة منه ؟ !.

نظرتْ إلىّ بابتسامة وقد رفعت أحد حاجبيها ..

– نعم ، لأي إنسان الحق فى رفع شأنه كما يرى .. ما شاء الله أنت طموحة..

- أنا متعلمة.

قلتُها بفرحة ثم اســتدركتُ لمّا رأيتُها يبدو عليها أنها بنت ناس جدًا ومتعلمة وشهادتها عالية. أنا معي دبلوم .

ابتسمتْ ..

- جميلٌ، أنت جميلة، عيناك المكحولتان تحت النقاب تخفيان وجهًا جميل لشابة صغيرة .

نظرت إليّ من فوق لتحت بمرح و كأ نها تغازلني، و قد بدا أن عباءتي الســوداء المشغولة بالفضي و الوردي أعجبتها .

شــعرتُ بالارتياح لها؛ فلأول مرة يتلطفُ معي أحد، ولا يكون زبونًا لأهاوده فى السـعر، أو حتى لا أسـتخسـر فيه أفضــل ما عندى، أويطمع فىّ وكفى، فرت منى دمعة غصبًا عنى؛ فاعتذرتْ بأنها لم ترد مضايقتى، وابتسمتْ وكأنها تصالحنى ..

- الشارع غول لا يرحم وأنت لا تحتاجين عريسًا؛ فالعريس هو الذى يجرى وراءك .

- أنا؟! .. عريس؟!..

وأشرتُ إلى إصبعى وكأني أخلع دبلة غير موجودة ..

ربتتْ على كتفي ..

- لا يهم، كثيرات مثلك.. المهم راحتك، هو الخسران.

- قال لى: تمشي وراء كلام أمها ونكدية؛ وجاء بي أنا لقدري ..

ولم أطق أن أكون خادمة بلقمتي، ثم يأتى لى بأ صحابه ليلا ونهارًا وعليّ خدمتهم جميعًا وأيضًا ضيافتهم..

لا يخاف عليّ ولا يغار !.

سـأله أحدهم لماذا لا نجلس هنا فى الأنتريه فشـد على يديه وأدخله حجرتنا وقال له: أنا بمفردي، لا تكليف بيننا؛ فدخل معه متحرجًا.

لمّا ناولته صينية العصير عرف بوجودي، جرى إلى باب الشقة ونزل السلم وهو يحاول إغلاق سرواله، يسب ويشتم، ويكرر والله لن أدخل لك بيتًا، أجننتَ ؟!.

أمه عندما وجدت صديقه على هذه الحال أقسمت أن تدخله عندها ولا يمشي غضبان أبدًا، وطلبت من ابنتها أن تحضـر له كوب ليمون وقالت له: أنتما أخوان وأكثر، هو يكرمك باستضافتك فى غرفة نومه كى تكون على راحتك فلا تحبكها هكذا !..

- ؟؟!!.

- نعم، مثلما تقول دائمًا: أننى نكدية لأننى لا أفوت مثل هذه الأ شياء التافهة؛ مثل صـديقه رفيق الذى لا يتركه ليلا ولا نهارًا ،يعمل معه ويبيت معه رغم أن بيته فى الشارع الذى وراءنا!.

الأكل الحلو لرفيق، الكلمة الحلوة والهزار، المشورة، المصروف الساهل و...

أما أنا فيبعثني إلى بيت أمى لأصـل كل رحمي، وما عليّ إلا أن أنظف بيت أهله وأرتبه جيدًا وأترك لهم طعام يومين وله ولصـديقه رفيق كذلك، ثم أرجع لأقوم بكل متطلبات البيتين، يتركني وينام فى الحجرة الأخرى مع رفيق–حتى لا يزعجني – بعد أن يكونا قد سهرا كثيرًا واستمتعا معًا .

- ولماذا سكت على هذا الوضع؟، تدللى عليه ودلليه ،قفى معه، وبمجرد أن

- يسمع صرخة أول مولود الدنيا كلها تكون ملك يديك ويديه .

- الرجل ؟!.. الزوج ؟!..

- نعم ؟!.. هل أكون قد فهمت أنه ..؟!.

آه.. ، هناك أشياء أخرى يقوم عليها الزواج، والمركب تمشي و...

- ..؟!.. تقولين مثلما كنت أقول ولا حول ولا قوة إلا بالله!!..

(لا أدرى لماذا اطمأننتُ إليها، انطلقتُ أحكي لها ودموعي تنساب غصبًا عني، أمسحها مرة بيدى وأخرى بطرف النقاب وهى تربت على كتفي أو تمسك يدى الطرية الناعمة بقوة، أتكون قد شعرت بي وأن مثلى لا ترضى زواجًا بغير رجل ؟!..)

حاولتُ أن أصبر، أشكوه لأمه علها ترجعه؛ فكانت تنهرني، كأننى عاصية وأنّ الملائكة تبات تلعنني والله لا ينظر إلىّ حتى أعود إليه طائعة منصاعة تمامًا مثلما يقول لى دائمًا هاها، وهل إذا أطعته ألا أكون عاصية؟!.. تظل تلدغني بلسانها كالعقرب ..

- هاها .. كل يوم والثاني تذهبين إلى أمك .. خلها تنفعك مثلما نفعت الأولى أمها ..

- لكن هو الذى يطلب مني ذلك وأنا أتمني أن أظل فى بيتي مع زوجى دون شريك .

- شريك ؟!..

قذفتني بما في يدها، وتوالت الشباشب والأحذية التى لم تترك أى جزء من جسمي- حتى وجهي - منها ومن بناتها اللائى أهانني وأهنّ أهلي.

- وهو ؟..

- رآني ولم يأخذ لى حقًا، وطلب مني أن أذهب إلى أهلى بسلام، أى سلام هذا ؟!..

أخبرته أنني ذاهبة إلى قريبتي التى كانت السبب فى هذه المعرفة؛ فأنا لا أجرؤ على الذهاب إلى بيت أهلى حتى لا يرجعونني إليه كما فعلوا من قبل .

هل أنا لست جميلة؟! أعودي هذا الذى يتهافت عليه شباب المنطقة لا يغري ؟!.

هل عطري، نظافتى، حناني، لساني الذى يقطر عسلًا - كل هذا وغيره كثير- لا يرضيه ؟!..

أبذل له كل جميل فيقترب مني وقد اطمأننت إليه وا ستسلمت وتهيأت فيهمس فى أذني :

- أنا لا أحبك ولن أحبك أبدًا .. ليس فيك ما يدعوني إلى ذلك .. ها ها .. أتعتقدين أنك امرأة ؟! أو أننى أرضى بامرأة؟!!.. ألم أقسم لك بأننى سأجعلك مجنونة تمشين فى الشوارع منكوشة الشعر تريدين الرجال؟!..هاها..

- أكنت أنتظر حتى يحدث لى هذا؟!.

- لا . لا .

- لم يؤثر فيه محكمة ولا أهل ولا جيران وقد أشاع بينهم أننى عاصية لا أنجب، ابنة أمي أريد أن أكوش على البيت وأحرمه أهله وأصحابه!.

لم أ ستطع أن أنطق بكلمة وماذا سأقول؟!، أخذ كل شىء مما جهزتني به أمى وأبي رحمه الله منذ كنت بنت عشر سنوات، وأعطاني لقبًا يكرهه كل الناس، ولا أستطيع مواجهتهم به، سمعتي التى يحاول هو وأهله تشويهها، كنت أكذب نفسي ولا أ صدق فيه أحدًا!.

تباهى أخواته أمامي و شمتن فىّ أول زواجى؛ بأن رفيق هو ضرتي كما كان ضرة من قبلي؛ فأزحتُ خصــلة حريرية نزلت على وجههي وهززت رأســى، تماوج شــعري فوق ظهري كله وأنا أقول: ضرة لها هى، أمّا أنا؟!.. وتركتهن ومشيت، وهن يتغامزن علىّ، وأنا مصرة على الفوز به والحفاظ على بيتي، وكيف لرفيق هذا أن يكون ضرة ؟!، حريق يشب فى كل جسمي ويخنق ما تبقى من آدميتي .

شهقت فى وجههي..

- هل أنت مدركة ما تقولين؟!، أخذتني بين ذراعيها وأنا أنتفض حتى تجمع بعض المارة حولنا فأشارت لهم بأنني قد سمعتُ خبرًا سيئًا وليس فى الأمر شيء .

– أنت فهمتِ ما حاول أخواتي إفهامه لي، لكني ظللتُ غبية طوال الوقت أكبش بيدي جمر النار !.

هل مثل هؤلاء مازالوا بيننا يحاربون الله ورسوله، ألم يقطع دابرهم من زمان ؟!..

هل أخطأتُ عندما سكتُ؟ أم هل أخطأتُ عندما دمرتُ حياتي وهربت؟! .

أمسكتْ يدي وهى تنظرْ فى عينيّ :

- كان يمكنك أن تفضــحيه هو وأهله وتقهريه، لكنك ابنة ناس خرجت من هذا الوكر كما تخرج الشعرة من العجين.

مازال بداخلى مزيد من الأســئلة المشــتعلة؛ فهل ســتعرفها وتجاوبنى عليها؟ أم ستظل حبيسة صدري إلى الأبد؟.

شكرتها بحرارة ودعوتُ لها بالستر حتى غابتْ فى الزحام......

دعاء

- والله هي نافعة لنا جميعًا، وتقوم بكل طلباتنا .

قالها وهو يضع طبق الحلوى أمام أبنائه ويصب لهم الشاي، هو الذى لم يكن يسقى نفسه كوب الماء، فى محاولة منه لاسترضائهم معتذرًا عن تغيبها عن البيت، جاء الابن الأصغر من حجرته مرتديًا الفانلة الداخلية و بيده قميص غير مكوي:

- هذا أقل شيء، وما عملها فى البيت إن لم يكن خدمتنا ؟!.

- تمطت زوجة أخيه الأكبر وهى تقول : أ ستظل هكذا ؟، هات القميص، سأقوم بكيه لك بنفسى، وهمت بالحركة متظاهرةً بأنها ستقوم لتأخذه من يده، شكرها وانصرف وهو يهمس لنفسه منذ متى كان هذا الحنان؟!. وإلا كنا فى غنى عن كل ما حدث !.

ارتشفتْ أول رشفة من كوب الشاى بتذوق ..

- تسلم يدك يا عمي لم أذق مثل هذا الشاى من قبل خاصةً فى هذا الطاقم الأنيق.

- أسندتْ رأسها للخلف فى استرخاء، مما آثار زوجها الذى كان منشغلًا بإحضار الفاكهة من الثلاجة لأولاده وأولاد أخيه الذين يلعبون فى إحدى الحجرات الداخلية، تناولَ كوب الشاى من الصينية لم يشرب منه،تحسس الإبريق الفارغ..

- أليس هذا الطاقم هو آخر ما اشترته أمى –رحمها الله – ؟.

- صمتَ الأب قليلًا وهو يقلب قنوات التليفزيون، بينما تتقلب في عقله أفكار مشتعلة لا يستطيع الإمساك بواحدة منها .

- على العموم يا ابنى لقد صممتم ألا أغير قشة واحدة فى البيت ماعدا حجرة النوم، حتى المطبخ صممتم أن يظل كما هو حتى لا تشعروا بأى غربة عندما تأتون لزيارتي التى نادرًا ما تكون!.

لم يستمعْ للأب الذى كان يبحث عن الكلمات فلا يجدها إلا بصعوبة، وبطرف عينيه أشارَ لزوجته، قامتْ وتبعته لحصر ممتلكات الشقة وأخذ ما يروق لهما، وكان ذلك إشارة لباقي الإخوة لفعل ذات الشيء ..

قبل أن يتحرك من مكانه التفتَ إلى والده ..

-على فكرة يا بابا، أنا أعجبتني سيارة آخر موديل، أريد أن أدفع العربون هذا الأسبوع على الأكثر .

- الذى يرضيك يا بنى، سأذهب غدًا للبنك وأحضر لك ما تريد وكذلك لباقى إخوتك .

- و أنت يا بابا ؟!..

- أنا ؟! يكفيني الستر.

- ولكني أريد أن تساعدنى فى مشروعى الجديد الذى ..

- أمشاريعك تلك لن تنتهي أبدًا؟!.، قلت لك لن يتبقي لى بعد ذلك إلا الستر، حتى هذا تطمع فيه أنت وإخوتك ؟!

هنا كان صبر الأب قد ذاب والتمعت عيناه بالغضب .

-كفى، أنا آسف يا بابا، لم .. لم أكن أقصد أن .. بعد الشر عنك يا بابا.

أثناء تشاغل الأب ليزيح عن نفسه شيئًا من غضبه كان الابن الأكبر يبحث بعينيه عن زوجته، وجدها تقفُ وراء الستار بين البهو والطرقة الداخلية المؤدية للمطبخ، أشارتْ إليه أن يتبعها بعد أن فشل فى استرضاء والده بكلمات رقيقة لتهدئته ..

- أنت دائما هكذا!، ألا تستطيع أن تكون أكثر لباقة حتى تأكل عقل أبيك؟!، أترك الشدة لإخوتك وكن أنت الصدر الحنون، تنل كل ما نريد، وينل إخوتك كذلك من الحب جانبًا، بدلًا من زوجة أبيك التى ستستولى على كل شيء وأنتم تنظرون !، الحمد لله أنها عاقر وفى سن لا تسمح لها بالإنجاب، وإلا ما كان أبوك تزوجها أصلًا .

سمعا طرقًا على الباب، غمزتْه زوجته أن ينتظر قليلًا ليريا ماذا سيكون!!.

- لقد شغلتني عليك، لماذا تأخرتِ ؟.

جلســت على أول كرســي والفرحة تتقافز فى عينيها، لكن القلق والاضـطراب يشلانها، خلعتْ حذاءها وأحكمتْ إسدال طرحتها على صدرها و شدتها لأسفل كأنها تخفي شيئًا ما فى حياء ..

- هل أكد لك الطبيب ؟ .

أطرقْ رأسه فى الأرض وقد ضاقتْ عليه الدنيا .

- والله يا حاج هو نصيب، لم أصدق نفسي ولكن له فى ذلك حكم، مرت عليّ تلك الشـهور مرة كالعلقم وعانيت شـدة الألم وانقطاع الرجاء مع الأمل، وقلت من السـن اليؤس لا مفر؛ فاحتسبت ما كان وما لم يكن حتى ارتضى الله الرزاق اللطيف صبرى، وقضى روحًا تسبح بحمد ربها تقر عيني بها.

وما أن سمعا الخبر حتى وقع طاقم الشاى الذى كانا يعدان لأخذه معهما، انكسر وأحدث دويًا هرع على أثره الصغار إلى المطبخ ليستطلعوا الأمر؛ فنهراهم وأخرجاهم إلى حيث الحجرة الداخلية وأغلقا عليهم بالمفتاح.

- عروسة أبيك حامل وستأتى بمن.. لا أصدق ذلك، ربما كانت تدّعى أن..

- والله لن يكون، وسـبقها للبهو إلى حيث يجلس والده وزوجته وبينهما أخوه فغمزته زوجته أن يتمهل قليلًا ليكون أخوه فى وجه المدفع، وأمسـكا لسـانهما على مضض ليريا النتيجة !.

- وجه الأخ الأصغر كلامه لأبيه ..

- كيف كان ذلك يا بابا ؟!، لم يكن هذا اتفاقنا، ألا يكفى أننا قبلنا بمن تأتي لتأخذ مكان أمنا – رحمها الله؟!، كيف سيتقبل أخواتنا البنات ذلك؟!، أنت تعرف كم كانت

- سـلمى أختنا الصـغيرة متعلقة بأمنا وقد أقسـمتْ ألا تدخل البيت مادامت فيه أخرى، لقد تعبنا فى إقناعها للمجيء اليوم، ترى ماذا سـيكون أثر ذ لك على قلبها المريض ؟!.

نظر إلى زوجة أبيه من طرف عينيه وهو يقول: طالما رضيتْ عيشتنا فلتتخلص منه .

نظرتْ لزوجها تستنجد به، فصرفَ عينيه عنها وعن أبنائه وهو يقول:

– لامفر من قضـاء الله، مكتوب !. –وأمسـك رأسـه بين يديه – نحن لا نعيش وحدنا.

اقتربتْ منه، ربتتْ على كتفه تسترضيه ..

– أمر الله يا حاج أراد أن يعوض صـبري خيرًا ولا يحرمني؛ فنظر إليّ بعين الرحمة؛ فلا تحرمني أنت وأولادك، خرب بيتى الأول بعد سبعة ع شر عامًا، عُيرت ساعاتها ولحظاتها وكأننى لا أسـتحق الحياة لأننى لم أهبها لأحد مع أن واهب البنين والبنات هو الله سـبحانه، طردت لأن أبي البنين والبنات لم يستطع أن يفتح بيتين مع أني قد ساعدته ولم ألزمه، فلم يرد أن يكسر خاطر من أتت له بهم؛ فاستغنى عنى رافع الرأس بعد أن من عليّ بأن آوى من كانت مثلي ولم أرد له الجميل!.، لملمت جراحي، خرجت محتسـبة ما كان و ما قد مضـى، وكأن دعائي الله جرحهم ومسهم ودعوني بالجاحدة!.

رضيت كبير السن الذى لا يُعيرني ويعوضني بعض ما فاتني من حب وحنان أحيا بجانبه فى سـلام، والآن تريدون أن أكفُر وأجهض نعمة ربى؟!.، والله لأن أموت أنا ويخرج منى من يسبح بحمده خير من الدنيا وما فيها، والرزق بيده وحده لمن يشاء!.

انتحبتْ واشتد نحيبها، ربّتَ زوجها على كتفيها وهو مطأطئ رأسه يستغفر الله العظيم ؛ فتشجع الابنان .

- ولكن يا أبلة أتريدين أن يعيرنا الناس بأن الحاج بعد عمره الطويل طمع فى الإنجاب بعد رحيل أمنا و أبناؤه و أحفاده يملأون عليه الدنيا؟!، أم أننا قد قصرنا فى شيء من حقوقه لا سمح الله؟!، أيشاركنا أحد مال أبينا بعد أن استقرت أمورنا ونحن نتكفل به ونتحمل مسؤليته أيضًا ؟!، يرضى من هذا؟! هذا ظلم .

- ظلم ؟! يا ظلمة يا جاحدون !!..

- أنت الذى ظلمت نفسك بهذه الزيجة التى لم تكن على البال، وتريد أن تظلمنا معك..

ثار الأب وصفع ابنه المدلل صفعة اهتز لها الجميع .

تحاملتْ على نفسها لتقوم، ارتدت حذاءها، اتجهت ناحية الباب قائلة:

- (حسبنا الله ونعم الوكيل)، وليعينني الله على رعاية من فى بطني ، وليوفر له النجاة كما وفر له الحياة .

همَّ الأب وراءها ليمنعها أو ليذهب وراءها أنى شاءت وأمسك بها أبناه وقد خافا دعاءها المستجاب.

وها أنا جسد يسعى، وروح تدب، غمستُ فى لهيب يتم الأم صغيرًا، صرتُ أبًا لأبي كبير السن يحنو عليّ وأرعاه كما أرعى أخي الذى عشق المال والدنيا حتى أقعدته.

العداد المبجل

-نحن فى بلد بلا صاحب ولا صاحب لكم إلا أنا .

لا تبال، لم تخش ونحن معًا؟!.

أفي مقدورك الحصــول على ما هو حق لك كما تقول ويقولون دون أن يكون للصاحب دخل؟!. تكلّم !.

– لا بركة لنا إلاك يا عم هاشم، يا صاحب الصاحب .

– هل (استبينا) ؟.

رد من لم يجد له صاحب بعد الله إلا هذه النوعية المتاحة المباحة .

-(اســتبينا) يا عم هاشــم، بالصــلاة على النبى قم بتركيب عداد الكهرباء، ولك الحلاوة كما تريد وكما يريد كل من كان لك صاحب.

– احمد ربنا وابســط يا عم، قد تمت الموافقة على تركيب عداد الكهرباء الشــريف الذى سيصلي على النبى فى كل لحظة تك .. تك تك ..

– آمنت بالله يا عم هاشــم، شــايك وشــاي أحبابك وكل أصــحابك ســتقبضــه في المقهى غدًّا إن شاء الله .

ماطلك يا حبيبى والدنيا بلا صاحب وهذه عادتها ، انتظرتَه، جاء ببشراه تك.. تك تك ..

وشرب الشاى، وقبض الشاي، وأخذ حلاوة الشاى هو وكل من كان له صاحب فى بلد بلا صاحب وقال :

– اصبر يا جميل فـ«إن الله مع الصابرين» .

– لماذا يا عم هاشم ؟!..

- جاز لك عدادًا للكهرباء، ونحن معًا وليس لك إلا أنا صاحب، و سأحضره لك عمّا قريب «وإنّ غدًا لناظره قريب» ألا تنتظر يا رجل؟! ألستُ مؤمنًا ؟!..

- آمنتُ بالله .

رقصــتَ و رقصــتْ قططك الخمس وأمهم وعمتهم و جدتهم فليس لهن إلاك ،على صوت العداد الذي لم يأت تك.. تك تك ..

لكنك أخلفت موعدك ليس بملكك، و هاجرت إلى من لا صــاحب إلاه فى الأرض و لا فى السماء، سبحانه جلّ فى علاه.

لم يأتِ العداد، ولم تسمع، ولم نسمع تك.. تك تك.. تك تك.. صلاةً على خير الأنام ﷺ.

غبتَ عن الدنيا، ارتاح الصاحب ها شم ولف سيجارتين ولوازمهما من المال الذى يعتبره حلالًا، ولربما رقّ قلبه ببعض أكياس الفاكهة مع قليل من اللحم وأطعم أهل بيته من سحت النار أولى به.

ثم انتهى إلى دورة المياه وكله تشغيل لخلق الله فى مكان ما فى بلد ليس له صاحب .

وغاب عم هاشم ..

ولكن البطون الجائعة والقلوب الوادعة لأطفال صغار يتساءلون ..

- من سيحضر ملابس المدرسة ومستلزماتها ؟!.

- ومن سيأتى بالعيد وهداياه ؟!

- ومن ..؟! .

تحركتْ العجوز الثكلى والأرملة الحزينة والأخت المكلومة، طفن هنا وهناك للحصول على عداد كهرباء، لمطرح كخرم الإبرة فى مكان لا يعلم به إلا الله، يستخدمنه كمشغل لاستكمال مصاريف الشهر، وسداد بعض ما عليهن من ديون، لم يقصدن غير

وجه من لا صاحب سواه .

- ولكن عم هاشم أنكر!.، وكل من كان له صاحب أنكر!.

- لم نر ..

- لم نسمع ..

- ولا عزاء للمغفّلين .

- لقد سُـرِقَ يا حاجة المدعو عداد الكهرباء المبجل بعد أن أتممنا تركيبه، وليس عليكن إلا الإبلاغَ عن اللص؛ لتحصـلن على آخر- هذا إن أمكن - هذه هى أحكام الحكومة والقوانين التى ليس لها صاحب .

ابتلعتها الثكلى، لم تتكلمْ الحزينة، سكتتْ المكلومة.

ولكن أحد القطط الأيتام الذى لم ينفق عليه والده مليمًا من سـحت، اتصـل بعم هاشم من تليفون من ذهب إلى السماء؛ فرد عم هاشم وبادره الصغير بتقليد صوت أبيه بأن هناك وعدًا واتفاقًا على تسليمنا عداد الكهرباء المبجل وقد حان الأوان .

تنطط عم هاشم وسوّف واعتذر بأن كثيرين ينتظرون الشاي !.

تقدم الصغير وأخت له أصغر ودخلا من الباب أثناء المكالمة؛ فسبهما عم هاشم وأهانهما وصمم أنهما يلعبان، وللكبار لا يحترمان، وهددهما بالطرد من المكان .

أغلق الصـغيران المحمول، وقبّلا رأس عم هاشـم الرجل الشـريف النزيه، ولمّا هدأ أ سمعاه بعض المكالمات التى سجلاها -دون يقصدا أثناء لعبهما- له ولكل من كان له صاحب مع أبيهما عندما كان يراوغه ويعده ولا يفى وعدًا وقد حلّ ميعاد السداد .

وجاءت الطامّة الكبرى؛ فقد تقدم العم هاشم بإبلاغ السلطات بأن هذين الصغيرين و كل من معهما بلطجية مجرمون إر هابيون يخفون معهم السلاح ثم يشهرونه إذا كان الوقت متاح .

وهنا.. فى هذه الشركة المبجّلة التى تحوى عدادات للكهرباء مبجلة، الوقت فيها كله متاح لهؤلاء الإرهابيين !.

تأسفت الأم والأرملة والأخت وقبلن الأيادى، ولم ينجين من صاحب سطوة إلا بعد أن سارعن وتداينّ، ودفعن المعلوم وفوقه شايًا وقهوة أيضًا لعم هاشم وكل من كان له صاحب ؛فقبلوا اعتذارهن .

وهن الآن على وعد بأن عداد الكهرباء فى الطريق آت.

ونحن فى انتظار ....

ما يصيب النساء

لزِمتُ بابَ الكريم وكُلِّي أمل في الفســتان الأبيض والطرحة، مشَـيتُ في طريقِ العلم، حفِظتُ ووعيتُ، اجتهدت وصــبَرت، حُزتُ إجازة وراء إجازة في علوم كتاب الله.

المسافةُ بيني وبين الدنيا بعُدَت، لكني خُلقت للدنيا، فأين المفر؟!

إحدى صديقاتي قريبةٌ مِن قلبي، جاءتني فَرِحةً مستبشرة:

• جئتُكِ بمَن سيُرِيح بالَكِ، ويُسعِد قلبَك بإذن الله، عريسٌ تقيٌّ نقيٌّ، نحسبه على خير، وَسِــيمٌ، لديه الشــقة، ميســور، كلَّمتُه عنكِ، أُعجِب بكِ، وطلب رؤيتَكِ في بيت الأسرة، صحيح هو مُطلِّق، لكن زوجي يمتَدِحُه وأهله.

تهرَّبتُ منها؛ فهي تعلم جيدًا أنني أتمنَّى مِن كل قلبي -رغم ســنِّي - أن أكون لنصيبِي الأولى في حياته، فلمَّا أَلَحَّت عليَّ تعلَّلتُ بأن تعطيني الفرصةَ لصلاة الاستخارة.

لا أدري، أسعادتُه بي أكبر من سعادتي به، أم أن قلبي الذي صار يقفِزُ بين أضلعي مِن الفرحة غطَّى على جميع الأسئلة بعد أن ارتحتُ له؟!

• اختارِي من الأثاث ما يحلو لكِ؛ فهذا حقُّكِ، أما أثاثي القديم، فســيذهب إلى صــاحب نصــيبِه صــدقةً، أُرِيدُكِ كما أنتِ جميلة في عيني وقلبي، أخيرًا ارتاح قلبى لفتاة متديِّنة مثلِكِ، لا، بل متفقِّهة في الدين.

أكلُّ هذه الشهادات والإجازات؟!

ما شاء الله، إذًا أين أنا منك؟!

وماذا يساوي منصبي العالي أمام علمِكِ؟!

• المهم أنكَ تقيٌّ نقيٌّ وَرِعٌ، معًا سنصل لبرِّ الأمان، وكل ما تحتاجه عندي بإذن الله، أنت أَولَى الناس، كُلِّي مِلكٌ لكَ.

• لكن كيف، وأنا بهذا الجهل؟ أَكُلُّ هذه العلوم الشرعية لم أحصل عليها؟! ماذا ستقولين عني في نفسك؟!

غاب عنِّي شهرينِ مِن الألم والعذاب لم أعرِف عنه شيئًا، حاولت بشتى الطرق الاتصالَ به أو بأي أحدٍ يُخبِرني عنه، فشِلتُ، بعثتُ إليه صاحبتي وزوجَها وأخي، تعبِتُ، لم أذُقْ نومًا وأنا أبتَهِل إلى الله أن يُتِمَّ نعمته عليَّ ويهديَه لي.

عاد إليَّ وكله شوقٌ وحنين، قلتُ في نفسي: قد منَّ الله عليه بالهداية، صار يصارع الأيام لبناء عُشِّنا السعيد، يصل ليلَه بنهاره ليُنجِزَ ما يجب عليه إنجازه، ويسابقني فيما اتفقنا عليه.

• لا هناءة ولا سعادة لي دونكِ، نورُكِ أضاء حياتي وملأ قلبي، أرِيحي نفسكِ مِن أجلي، فراحتُكِ مطلبي ورضاي.

أغدق عليَّ بهداياه، مشاعره، كاد بيتُنا السعيد يفتح بابَه لنا في أتم زينة، لتحديد موعد الزفاف وهو على أحرِّ من الجمر، يتعجلني بشدة.

• إلامَ تنتظرين؟

وما الداعي لبضعة أيام أُخَر تنقص مِن سعادتنا معًا؟!

ثم ضاحكًا: أم أنكِ موظفة وتنتظرين بداية الشهر؟!

تهون الدنيا بما فيها تحت قدمَيْكِ، لا أريد إلا إيَّاكِ، أنت زادي في دنياي وآخرتي.

كل هذا وأنا أستمهله وأستَمِيحه عذرًا في بضعة أيام أُخَر كما اتفقنا، وهو يلحُّ عليَّ وعلى أسرتي، حتى صارحته بأنني أُرِيدُ أن أكون في كامل زينتي ولياقتي حتى تتم فرحتي بكَ؛ فأنا يصيبني ما يصيب النساء.

نظر إليَّ في جزع نظرةً جعلتني أسترجع: (إنَّا لله وإنا إليه راجعون!)، وقد كاد يُغشَى عليه.

• ألم تنقطِعْ.. إلى الأبد؟! أنا لا أريد أطفالًا.

صُعِقتُ، لا أدري كيف أجيب!

• وأنا.. ألا أستحق طفلًا منكَ بإذن الله؟!

ألا أكون أمًّا كما تمنيتُ طوال عمري، ودعوتُ الله ليلَ نهارَ أن يستجيب لي؟

ظل يصرُخُ في وجهي: أأنتِ تُنجبين؟! كيف؟!

انصرف مسرعًا دون وداعٍ، وقطع كلَّ اتصالٍ بيننا!

الأسرار

في صحوى أنا أم فى منامى ؟!.

أعيش الحلم كما أعيش الحقيقة ..

أكره هذه الأوقات التى تزعجني، لا أعرف أين أنا ؟،ولا كيف أكون؟!..

أغلق فمي بقوة؛ فلا أجد إلا قوة خفية تفتحه بعنف ليلقي ما بداخله، صـرخاتي لا تتجاوز نفسى، لكنها تزلزلني، تدمرني .

لا، لا. . لن ألقي ما بداخل فمى إطلاقًا..

أطبق فكي بشـدة؛ فتقبض هذه القوى المخيفة المجهولة عليّ وعليه، تفتحه بقوة وعنف، تنزع كل أسنانى إلا واحدة كبيرة لامعة، أحاول السيطرة عليها بكل ما لديّ من قوة وإرادة، أفشل وينطلق ما بداخلى هادرًا مفارقًا .

أصـرخ، ليس لديّ شـىء آخر غير الصـراخ .. اتركوا لى ما تبقى.. اتركوني.. لا أريد.. لن يكون هذا أبدًا..

أغثني يا رب ..

القوة الهادرة الغاشمة تعاندني وتعاند كل ما سواها..

لم يبق لى إلا سن صغيرة ومالا أدركه.

اتركونا وشأننا، كفانى، كفانا ما حلّ بنا.

أظل أقاوم يقظةً ونائمةً وما بينهما ولا من مغيث.

أعلم جيدًا ما سـيحل بي إن لم أتصـد لهذه القوى التى لا تبقي ولا تذر من أرادت ووكلت به!.

لا تكف صرخاتى التى تشق عنان السماء ولا يسمعها إنس ولا جانّ !.

اندفع الشـــلال هادرًا موديًا بكل ما يحمله، وأنا عاجزة بعد أن حرمت اليقظة والنوم !.

لا راد لقضاء الله .

أر يد أن أحكي، لا أتوقف عن الحكي حتى ينزاح الجبل الرابض على ظهري الكامن فى صدرى، لكننى أعلم جيدًا أن الأخبار لا تكذب، وإذا أذعتها ستصدق، وإذا أخفيتها لن تهرب؛ فأين المفر ؟!.

برحمتك يا مغيث أغيثني .

قلت: أرى ما يؤلمني .

نهروني وزجروني وأعرضوا عني .

قلت: لن أقول ما يؤلمني فهو يؤلمني ويلازمني؛ فأعرضـوا عني وتحاشـوني وتحاشوا أنفسهم وكل منهم يحدث نفسه: ألن تكف هذه الـ..؟!..

- شبعنا أخبارًا وأحزانًا، أنهارًا من الدموع قد جفت وأخذت معها الرحمة .

حدسوا أن فى الأمر أمرًا ومع ذك لم يرحموني !.

- اصمتي، لم يعد لنا إلا الأحلام لنأخذ عنها، كفانا ما أخذته وما أخذناه.

لمّا انحنيت على يديه.. أقبلها، سحبها غير منتبه .

- ماذا تفعلين؟!.
- لم أقصد.. كنت أقبل يديك .

الألم يعتصـــرني قلي، أعرف ما أفعله ولا أعرفه!، لامفر، يطاردني الإحســـاس الذى يدق ناقوس عقلي، قلبي، روحي.

أهرب من إحساسي، أهرب من عقلي، من روحي التى تنقبض وتأبى أن تنبسط .

خرجوا فى نزهة، أخبروني ولم يدعوني، ظللت بملابسي بعد صلاة الجمعة، لشراء بعض الأشياء للأولاد، سبقتهم رغم إحساسى بالتعب والإعياء اللذين لم يمنعاني الذهاب معهم .

قلبى منقبض، روحي كثيفة ولكني أسوسها بحزم حتى أتجلد !.

وذهبتُ.

يوم جميل.. الصغار يتنططون، لم يتركوا أرجوحة لم يركبوها، ولا عربة طائشة إلا قادوها، ولا..

فرحتهم غطت على نور الشمس، وبعد غروبها أضاءت مكانها.

وأنا مع نفسى أقاومها ولا أترك ثغرة تنفس عمّا بها .

أختلس إليه النظرات، آخذ من يديه ما يقدمه وأتلمس كفه بأناملي ..

عندما يشاغبني أويثيرني ليستفزني بمزاحه الثقيل لا أستثار، أظل صامتة أنظر إليه وليس فى عينىّ أى أمارة للضيق، يتعجب ثم ينصرف عني إلى ما كان فيه .

زار الأهل، تلطّف مع الجيران، أخرج من جيبه ما هو واجب عليهم بطيب نفس حتى أن أمى عاتبته:

- هم لا يستحقون وأنت تعلم .

- هذا لك يا أمي ومن أجل عينيك وعيون الأولاد، لا أريدهم أن يروا قبحًا ويعتادوه .

أَوْلَمَ لأصحابه فى بيتنا الكبير بعد إذن أمي؛ فهو لا يدخل رجلًا بيته الخاص.. يغار على زوجته محبوبته، تراه بقلبها وعقلها تتكلم بلسانه وتقدم خيره بيديها عن طيب خاطر.

يزداد انقباض قلبي و ضيق نفسي وثقل روحي وأضيع أنا بين اليقظة والنوم.. أين أنا؟!، لا أدري !..

أيام تمر وحركتي المغزلية حول نفسي لاتكف، ونحن فى انتظاره لتركيب حلقات الستار فى بيتنا حتى يأتى غدًا صباحًا لتمضية اليوم معًا ونستمتع بالوليمة التى أقامتها أمي لنا .

أصلح سلك النت، اشترى طلبات البيت، اشترك مع زوجته فى تنظيفهما الأسبوعي الخميس بدلا من الجمعة لأن لدينا يوم الجمعة عرس فى بيتنا الكبير، والحنة كالمعتاد علينا، نقيمها لأى بنت أو شاب من العائلة ويوم السبت حفل الزفاف فى فندق كبير.

أبناء الأعمام والأخوال وجميع أولادهم وبناتهم وأحفادهم مستعدون، ومن يقيم فى مدينة بعيدة جاء بأسرته إلى بيت العائلة.

نحن قبيلة مترابطة.. كلما تذكرت ذلك زهوًا شعرت بغصة !.

ترك صغيره ليبت معنا على أن يأتى للسهرة بزوجته وابنته وما يلزم لهما من ملابس لحفل الحنة وحفل الزواج، اشترى أكياس اللب والسودانى والحلوى ولم ينس ذرة الفيشار التى يجيد صنعها وو ضعهم فى السبت معتذرًا لأمي بأنه يشعر بشيء من البرد..

– اسهروا أنتم اليوم وسآتى فى الصباح إن شاء الله لنتناول الإفطار ولنقضي هذين اليومين معًا.. سأنام مبكرًا ليكون لدى الهمة لغد وبعد غد لأقف مع العريس؛ فالرقص لن يتوقف قبل الفجر..

–ربنا معك يا بنى .

لم أنم هذه الليلة؛ فقد ا شتد انقبا ضي الذى لا يتكرر عادةً إلا.. ! ولا أ ستجيب له ولا يتركني !..

أقمت آخر الليل و صليت الفجر حا ضرًا، مازلت كمن تسرقه السكين، لا أعرف من أين؟! ولا كيف؟! .. واصــلت قراءة القرآن حتى الضــحى صــليتها وأنا فى قمة الإعياء مع أن صدري ينشرح دائمًا إذا صليت ولو ركعة واحدة تهجد .

ســامحني الله، أتلو بعض الآيات ثم أعود من حيث بدأت، أتمســك بالتلاوة وأحاول فهمها والإحســاس بها علّها تعيد إليّ توازني النفســي واطمئناني وأردد قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1].

أناجي ربي بصوت مسموع؛يا رب طمئنّي؛ ما بى ؟!..

غفلت قليلا استيقظت على صوت الهاتف، أنا أنشطهم فى الفترة الصباحية، ومع ذلك لم أترك فراشي، استيقظت أختي بصعوبة وجرت إلى التليفون ولمّا وصلت انقطع الرنين، وأنا فى كامل وعيي ويقظتي، لن يتصــل بنا إلا هو، لدىّ يقين بذلك لا أدرى مصدره ،لم أتزحزح عن فراشي !..

رن جرس التليفون ثانيةً جرت أختي إليه،لم أسمع المكالمة جيدًا، أكاد أجزم أنني أعرف ما دار بها، حاولت الاختباء تحت الغطاء، ما أن اقتربت خطواتها حتى قفزتُ من فراشى، فتحت الباب وجريت إليها وقد كانتْ ترتدى ملابسها على عجل !..

- أخانا يحتاج إلى طبيب سأذهب لإحضاره.. قلت لأمي سأذهب لأ شترى خبزًا .

وضــعت نقودًا كثيرة فى حقيبتي بعد أن ألقيت ما بها من أدوات للعمل، مرّ بي خاطر مرعب، اســتغفرتُ ربي، حاولتُ طرده، فلم أســتطع، أمســكت بالمصــحف الصــغير، تأملته تأكدت من وضــعه في الحقيبة وأنا موقنة أنني ســأحتاجه مع أنني ذاهبة إلى بيت أخي ويمكنني اســتخدام أحد مصــاحفه، ارتديت أقرب عباءة ولففت الطرحة على ســلم العمارة وأنا نازلة، لم أشــأ أن أذهب معها لإحضــار الطبيب أو أذهب أنا ، تركتها وجريت إلى بيته القريب وأنا متأكدة أن هناك أمورًا أخرى قد كتبت عليّ !..

---

(١) الرعد:٢٨ .

مجرد أن وضـــعت قدمي داخل بيته شـــعرت بوجودهم الكثيف، أنا أعرفهم – سـبحان الله –أحسـســت بهم، لمّا وقعت عيني عليه تأكدت وشـعرت بهم يزاحمونني، سلمت عليهم وأنا استرحمهم الله !.. جلست جواره على الفراش.

كذبت نفسى، سألت زوجته، هل هو كذلك منذ الليل؟!..

- لا. إنما كان يشعر بالبرد.

لم أشــأ أن أؤلمها فهي تحبه ولم تفهم شـيئًا وكأن الفهم قد كتب عليّ وأصــاب كبدي وروحي فأشقاني .

- ماذا بك يا حبيبي؟!، هل يؤلمك شيء؟!، صدرك؟ .. بطنك؟.. أهناك شد عضلي مثلًا؟.. هل أنت مخنوق؟.. هل لا تستطيع أن تأخذ نفسك؟..هل هناك شيء يضايقك؟!..

- لا، أنا أموت .. أشهد أن لا إله إلا الله محمدًا رسول الله .

شخص بصره، ثم أرخى جفونه واستسلم لمن خلقه !.

تركني.. تركنا.. كما تركونا ..

هل لي أن أشهد على إنسان شاب تقي ورع بكل هذه الصحة وهذه الوسامة والقوة وأقول أنه قد فارق الحياة؟!.. إنها غيبوبة!.

طبيب.. طبيب ..

أريد طبيبًا..

جاءت به أختى ..

- لله ما أعطى ولله ما أخذ ...

وجهه مضيء، درجة حرارته عادية ،لم يشك ألمًا ولا ضيقًا ولا حزنًا !.

نحوه عنى ..

طبيب ...

ألا يوجد فى الجيران طبيب ؟!..

لقد باح لى قلبى بما أخفيته عن نفســي وما أعلم جيدًا، ولكن أين حقه هو فيمن يعرف ويكون خبيرًا ويشهد ؟!.

- لله ما أعطى ولله ما أخذ .

جاءت أمي قبّلته وأوصته أن يسلم على باقى أولادها وزوجها حبيبها وأمها وأبيها وإخوتها..

- لك الله يا أمى .. لنا الله ..

صلينا الجمعة فى الشارع بعد أن ضاق المسجد .

لقد شعرت بالاستقرار الآن فقط.

فقد صدقت الأخبار ولم يعد هناك أى أسرار.

أى أسرار؟!.. مازال المصحف فى حقيبتى...........

كله عند العرب صابون

- قرارات من فوق ولازم ننفذها يا أبلة وإلا فتحنا علينا باب المصائب جميعها .

- لكني غير متخصصة، لا أدري ما المطلوب، ولماذا أنا بالذات ؟!.

- ليس هناك غيرك – أنت الخير والبركة – الأبلة الرسـمية الوحيدة، والله لو كان هذا الموضوع ينفع كنت أمرت الست حرمنا عملت اللازم كله وأتت به إلى هنا .

- لا عليك يا أبلة، هذا شـغل نسـاء ونحن فلاحون وليس لنا فى هذا الأمر، وها أنت ترين طلبات (اللى ما يتـسموش) وأوامرهم، الواحد منا لا يـستطيع أن يأخذ نفـسه حتى أو يهرش وإذا أمسـكوا بأحد - لا قدر الله- لن يفلتوه وسـيأخذوننا معه!. ومن يقدر يهرب ؟!.

- ربنا يستر .

- ربنا يسـتر، ويجعل كلامنا عليهم خفيف، المهم، عليك بالكنافة أو المهلبية والأرز بلبن ويا سلام لو كانت زلابية حتى نـستطيع عدها بالقطعة وتحديد الثمن وكل تلميذ أو تلميذة يأخذ واحدة أو أكثر ونخلص!.

- أو حتى البسبوسة يا أبلة، سهلة جدًا، قليل من دقيق البقسماط، شيء عاد.

- وهل هذا وحده يكفي؟!.

- هاها.. قـصدك المكـسرات وخلافه ؟! بـسيطة، بعض حبات الفول النا شفين ودقيهم جيدًا أو حتى أدقهم لك أنا والله، ونبعث الـصينية إلى أى واحد من الجيران يوم خبيزهم حتى يضـعوها فى الفرن عندهم؛ ونقول اسـتعنا بفرن خارجى، وكله سـيبقى تمام، المهم نسد عيونهم وأفواههم وربنا يكفينا الشر.

تكالبوا علىّ، وماذا سـأفعل أنا ؟!، ما لى أنا وهذه الشـغلة الطين؟!، النشـرة والقرار قرأتهما ولا تراجع فيهما، وفريق الجماعة بذئابها لا فرار من أنيابهم إلا بمحاولة

ا ستر ضائهم ، وإلا من سيملأ صندوق الجزاءات ليُدْفِع جيوبهم؟! يتـ صيدون الأخطاء بحنكة الخبراء المدربين، ومن لا يفعل يصـــل نارهم ونحن من ورائه! ألم يكفهم وعدنا بالتنفيذ رغم أننا لاندرى كيف سننفذ؟ وبلا ميزانية؟!، حتى أوقعوا علينا الجزاء جميعًا وتحولنا للتحقيق ولم ينجنا إلا المهلة التى وضــعوها للتنفيذ، فيهم الخير، طيبون هم والله!.

- ها.. يا أبلة.. ؟!

- كيف؟ هل أترك حصصي وأشتغل طباخة؟! وأين هذا المطبخ إن شاء الله؟!.

- المخزن الصغير بجوار الحمام نخليه لك وننظفه ويبقى فلًا .

- فلّ من كل شيء هاها.

- أبدًا فحضــرة الناظر ســيأتي لك بحلة وصــينية من بيته ووابور الجاز عليّ أنا، والباقى ستتصرف فيه، اطمئني يا أبلة الشحات له نصف البلد، ها ها..

- على فكرة.. عليك أيضا بصنع أى حاجة لا تؤكل شامبو مثلًا، صابون، كالونيا، أى حاجة هكذا!!

انفجرنا جميعًا بالضــحك ؛فلم يكن ينقصـــنا إلا هذا، صــحيح هم يبكي وهم يضــحك، التلاميذ لا يجدون صــابون وســيغسـلون شـعرهم بالشـامبو! ، ويضـعون الكالونيا أيضًا! والدنيا ستكون وردى ولن آتى لأذن أحدهم أو إحداهن وأسر إليه بأنه يجب عليه أن يهتم بالنظافة الشخصية ولا يأتى المدرسة -بعبله هكذا-دون استحمام بعد أن ينظف للطيور والماشــية حظائرهم ويضــع لهم الماء والطعام لأنه لم يجد وقتًا لذلك !.

آه يا نافوخي الذى سينفجر، آخرتها أتعلم كيف أ صنع صابون سائل وحمص الشــام وأعمل طباخة بلا مطبخ ثم أقف أدلل، من يشــتري؟!، وأفاصــل، وتلاميذي يتدللون عليّ .

ما جئت فى نظرهم-إلا لأكسـب منهم وأتشـطر عليهم-وعلى قبول شـروطهم وسخافاتهم، لا يثقون فى غريب بطبعهم ويتشككون فيه، حتى لو أحبوه يظلون فى حذر منه خاصـة إذا كان من مصـر!.. فسـيأتى اليوم الذى يذهب لأهله ويتركهم بعد أن يكونوا قد تعلقوا به، أو حتى خوفًا من اهتمامه بمصلحته هو أولًا قبل مصلحتهم مهما ادعى غير ذلك؛ فهو يتعب ويشقى ويسافر هذا المشوار الطويل جدًا فى نظرهم دون أن يأخذ شيئًا، كفاية مصاريف المواصلات والسفر وحدها.

التف البنات حولى.

- أصحيح يا أبلة؟! أستعلميننا كيف نصنع معًا حاجات حلوة مثل بنات مصر؟!.

- وهل سيكون الصابون حلو ورائحته حلوة وألوانه زاهية؟، أم سيكون (عفش) مثل صابون عم أبو شادوف ؟

- وماله يا أختي صـابون عم أبو شـادوف؟! ألم نتعود عليه؟ المهم أنه ينظف والسلام.

و جاءت (عليا) بسـرعة وخبطت كتفى بنتين من المتحلقات حولى بيديها الخشنتين ليوسعا لها مكانا وهى تقول: -

- بكم يا أبلة ؟ الكيس بجنيه ونصف ؟ كثير والله ! .

وقبل أن تنصرف زغدتها (سنية) فى جنبها .

-كلمي الأبلة عدل يا بنت، لا تغضـبي منها يا أبلة هى هكذا، أصـلنا فلاحون، لا نعرف تزويق الكلام .

ضحكت (فلة) وعيناها تلمعان بالمكر والذكاء، طبعا سنشترى منك يا أبلة-بعد أن تخفضى لنا الثمن -ونقول لكل الناس أن حاجاتك حلوة ولا يعلى عليها وطبعا ستعلميننا، أم ماذا ؟! .

كانت زكية تـ سمع كلامنا من بعيد دون أن تـ شارك وكأنها تتفرج وتنتظر النهاية، خبطت باطن يدها بظهر الأخرى محذرةً :

- إياك يا أبلة أن تصــدقيها أو تصــدقيهن؛ كلهن يردن أن يعرفن كيف تصــنعين الأشياء الحلوة، لن يشترين منك أى حاجة أبدًا، أهن يجدن ما يأكلن؟!.

نظرتُ فى عيونهن ..يحاولن تصديقى!.

اضطررتُ نزول الجيزة لشراء ما يلزم، تكفل حضرة الناظر بإعطائى مبلغ من المال من جيبه وأكمل الباقى من جيب زميلين خجلا من الاعتذار عن عدم المشــاركة، والباقى على حســابى، والله لولا الحفاظ على ما تبقى من ماء الوجه لكنت اعترفت –مثلهم – بأن اليوم الذى لن أجد فيه أجرة المواصلات فى جيبي لن آتى إلى المدرسة.

تركت حصصي وفصولى لأتفرغ لهذا العمل الذى لم يمر بخاطري يومًا!.

جئت بالجردل من – حمام الأساتذة وعلى المتضرر أن يلجأ إلى بيته أو بيت أحدهم إذا كان من أهل القرية وإن لم يكن فليلجأ إلى..، دعكته جيدا بالتراب ثم بالصــابون والماء ووضعت به خلطة الصابون وقلبتها مع البنات بعصا (الغلية) التى أتت بها (زغدانة) من بيتها مع المغرفة والطبق لزوم حمص الـشام الذى شبعوا من الـسماع عنه ولم يكن معروفًا لديهم، فصــوص الثوم فلغلو ثمنهما لم يرض أن يجود بها غير حضــرة الناظر، أما الليمون والفلفل والطماطم فلم أتخيل أبدا أن يكونوا غير متوفرين مما جعلنا ننتظر يوم ســوق القرية– وأن يكون سعرهم غال لهذه الدرجة !.

ضحكت بعد أن ضبطت نفسى أفكر!، ولماذا هذا الذى سأفهمه وأجد له تبريرًا منطقيًا؟! ، قلت في نفســي أعمل مثلهم وارتاح (وقل يا باســط تلاقها هاصــت.. وكله صابون..) الشعار الذى يعلقونه على مدخل قريتهم ويرددونه فى كل مناسبة .

نقعت الحمص فى البيت لـمدة يوم بعد أن همس بعض زملائى فى أذنى: إياك أن يمد أحدهم يده إليه – لا البنات ولا الدادة – للمساعدة، هاها.. أو للاقتباس! لا

ينقصـــنا إلا القرف! وحذروني بشـــدة من ذلك؛ فاضـــطررت أن أحمله على قلبى مرتين مرة بعد شرائه وأخرى بعد نقعه.

وجئنا (لوابور الجاز) حاولت مرارًا أن أشعله وقلبى ينتفض بشدة ويداى تقطران عرقًا، وجدت يدي زغدانة تمتد إليه وهى تشير إلىّ :

- عنك أنت يا أبلة.

- وتركته لها ذاهلة وخائفة جدًا من أى مصيبة تحصل .

أعطت الوابور عدة أنفاس فهبت النيران لأعلى واللهب ا لذى يز يد عن المتر ونصـــف المتر يتراقص ويتوهج وأ نا قلبى ينتفض وأدارى خوفى وفزعى فيخو نانى وأصرخ.

- (بلاها الشـــغلانة الطين) اتركيه يا زغدانة وابتعدى، اتركيه يا بنت (إن شـــاء الله ما ولع) بدلًا من أن يهب فيك لا سمح الله .

وزغدانة تضحك، وماله إذا هب؟! الحمد لله أنه يهب لأعلى! مصمصت شفتيها بعد أن أنهت مهمتها ووضعت الحلة على الوابور وغطتها .

- ولا يهمك يا أبلة، المكتوب مكتوب، صـــحيح عندنا الآن بو تا جاز فى البيت لكننا لا يمكن طبعًا أن نستغنى عن هذا (المدعوق) الوابور !.

أعجبتنى نفس البنت الرا ضية بقد ما أزعجنى القهر والجهل الذى يحيط بهن ولا فرار منه، هن فقط يا مريم؟!، نعم، مكتوب .

انتهيت من دق فصـــوص الثوم داخل الصـــحن الذى أتى به أدهم من بيت ابن بنت خاله وأنا أدارى خجلى وترددى، أنهم يـ ستلفون كل ما نحتاجه من أهل القرية الذين يعلمون الآن أننى الأبلة المحترمة التى جاءت من مصر رفضت أن تعمل لهم الصوانى والحلوى أو تعلمهم صنعها، قرفانة يعنى تترك الحاجات عندنا أو تعملها عندنا بدلا من هذه (المرمطة) والبعض يقول الحمد لله أنها تعمل حاجة وتكلفها، ويا ترى ستأتى بالتكلفة من أين؟!

الحقوا يا أولاد الأبلة مريم التى من مصر تعمل فى المدرسة الصابون السائل وحمص الشام و تبيعه ،هاها.. مدرسات آخر زمن (ياما هنشوف..) !

ويتندرون بآخر تقاليع المدرسين، ويتساءل بعضهم هل هم قد جاءوا ليبيعوا ويشتروا ويضيعوا الدروس بالمدرسة ؟! وحضرة الناظر، كيف يسكت عن ذلك؟! عجائب والله !.

مسكت بأول ثمرة من الفلفل الأخضر وأنا أدعوالله فى سرى أن يعديها على خير، ثم تركتها لأجعلها آخر خطوة ؛ فأنا لديّ حساسية شديدة منها.

- ما بك يا أبلة؟ لماذا أنت حيرانة ؟! هات الطماطم-بالله عليك-وأنا أعصرها لك فى بيت عمي فهو جار المدرسة مسافة السكة فقط، والله أنا أحببتك يا أبلة (وما كنتش فكراكى كدة).

رفضت وأنا أحاول الطرق على الطماطم داخل الصحن، وماذا سأفعل؟! قلت أتصرف ! وقطرات الطماطم تتناثر على ملابسي التى أرتدى فوقها فوطة كبيرة لم تجد شيئًا مما اضطرني أن أتنازل وأقبل أن تأخذها زكية وتعصرها فى الخلاط لدى أقاربها.

جرتْ البنت من أمامى فرحة .

- والله يا أبلة سأغسل الخلاط بيدي ولن أدع أحدًا يلمسه وسآتي بالعصير فى ذات إناء الخلاط ولن أمد إليه يدي، سأخفيه تحت الخمار حتى لا يستهزئون منى وأنا داخلة وخارجة.

- ناديتُ عليها وقد زاغت فلم تسمعنى فأحضرها الأولاد فى شهامة، وهم يقولون نحن فى الخدمة يا أبلة أتريدين شيئًا ؟ .

غسلت لها يديها بالماء والصابون الذى لم أتم صناعته ولكنه يصلح شيئًا ما للتنظيف، وهى تحاول أن تتفلت منى وتحلف أنها غسلت يديها فى الفسحة ، و صيتها أن تغسل يديها ثانيةً قبل وبعد أن تضع الطماطم فى الخلاط، ووصيت زغدانة أن تذهب معها لتخبرني بكل شيء ...

وضــعت الخلطة وســميت بالله وخرّطت الفلفل الحار وأنا أشــعر بالنيران فى يدي .

الأولاد والبنات يتزاحمون ليتفرجوا على الأبلة والبنات وهن يصنعن هذه الأشياء، ويستمتعون بالرائحة الشهية.

- نحن يمكننا يا أبلة أن نفتح مصنعًا ونبيع كثيرًا ونكسب.

- أو نتعلم نحن ما تصنعينه أفضل ولا نشترى منك حاجةً أبدًا !.

- اسكت ولد يا هيمة حتى لا تسمعك، والله الأبلة طيبة وبنت حلال.

قالها فوزي وكأنه يدافع عنى وهو ينظر إلىّ بطرف عينيه ليرى أثر كلامه علىّ، لا أدرى ســببًا لهذا التوجس؛ مما يجعلني كثيرًا فى وضــع دفاعى لا يليق بي، ويشــعرني بالشفقة عليهم والضيق منهم في ذات الوقت.

تركت لهن الصــابون يقلبنه جيدًا، ثم يعبئنه فى أكياس البلاســتيك التى اعتبرتها أنا فكرة نيرة وقد جاءت علىّ بالخســارة لأننى لم أســتطع حســاب ثمنها ضــمن التكلفة، هاها..

اســتعرت بعض الأكواب من بيت زملاء بالقرية فلم تكف؛ فنبهت كل تلميذ يريد الشــراء أن يأتى بكوبه الخاص أو لينتظر حتى نغســل الموجود منها، رصــصــت الأكواب على أول صــينية، الرائحة النفاذة والبخار المتصــاعد منها يثيران الشــهية، مع ذلك رجعت الصينية وما بعدها، بقليل من الفكة التى لا تغنى شيئًا، فقد تناول الأولاد حمص الشــام اللذيذ وتشــاجروا من ســيدفع الثمن؟! والباقون تناولوا نصــف ما فى كل كوب ثم قالوا أنه لا يعجبهم حتى لا يدفعوا أي مليم!، شــربت أنا المقلب وفاض بي الكيل وأنا أصرخ، ما لي أنا وهذه (المرمطة) ؟!

زملائي يهدئونني والنيران مازالت مشــتعلة فى يدى، نافوخي ســينفجر وكل منهم يواسينى ويواسي نفسه .

- ومن الذى أصلح المجاري -يا أبلة - التى طفحت فى حوش المدرسة كله ورمت علينا الديدان والأمرض، هل نفعتنا إدارة أو وزارة؟!، أصلحتها أنا وأستاذ محمد وباقي الزملاء، حتى حضرة الناظر نفسه حفر لنغير المجرى لمكان آخر ثم ردم معنا الوحلة بيديه!.

جاء الولد أدهم يجري حتى انقطع نفسه وهو يستغيث، الحق يا حضرة الناظر، يا أساتذة، لقد جاءوا، لقد جاءوا ،الأستاذ نبيل معهم يحاول تعطيلهم، وغمز لى أن أدق جرس انتهاء الفسحة وأجرى لأخبركم.

هب الأستاذ عوض الله الذى كان يحاول تهدئتي هو ومن معه لتنظيم ذهاب التلاميذ لفصولهم وهو يلعن من ترك البوابة مفتوحة ويقول كلمته المشهورة التى كنت أضحك منها قبل أن أدرك معناها جيدًا وأحسه (الباب المغلق يرد القضاء) !.

جففت دموعي بسرعة، خلعت الفوطة، حاولت ترتيب المكان و..

دخل علينا ثلاثة، رجل وامراتان وهم يصرخون فى وجوهنا ويتهموننا بالتقصير والإهمال ،فى عيونهم استخفاف وتعال ..

- الله. الله. ما هذا؟! رائحة حمص الشام فى كل مكان، أقلبتم المدرسة مطعمًا ؟! ما شاء الله !.

- والله أوامر ونشرات جاءتنا و قد وقع علينا الجزاء عند ما لم نسارع بتنفيذها، وها نحن قد تصرفنا وعملنا ما علينا .

- حمص الشام ؟!. وفى المدرسة؟!.. وصابون أيضا ؟!..

- وهل لديكم ضمانات صحية ومكان مجهّز ؟ وأين تصريح الـ.. وأين.. ؟! وأين .. ؟! ...

- يتم التحفظ على هذه الأشياء كلها و يقع عليكم جميعا الجزاء وتحول المدرسة إلى الشئون القانونية و.........

كوكو البرنس

كلما استيقظَتْ قَلِقةً جاءتني تربتُ على شَعري وظهري وتنصرف!

يُحيِّرني أمرُها دائمًا؛ لماذا تتحمل كل ما يستفز، وكأن شيئًا لم يكن؟!

صـــحيح أنها أحيانًا تثور، لكن ماذا تفعل بثورتها، غير أنها تبكي بحرقةٍ، وترفع صوتها قليلًا؟!

أمَّا الليلة، فلم أستطع منعَ نفسي من الضحك أو الابتسام، ولم أُجِبْ عن تساؤلها عن السبب، فتركتني وشأني بعد أن أكَّدت عليَّ:

– ليتَكَ تنام مبكرًا وتســتيقظ مبكرًا؛ فأنا لديَّ عمل كثير على الكمبيوتر، وأنت تنشط وتُنجِز دروسك جيدًا عندما أكون بجوارك.

فأجبتها:

لن أنام إلا بعد أن أُصلِّي الفجر حاضرًا مثلَك، ها ها.

– تنام كثيرًا، لا أدري كيف؟! وأنا عندما أدخل الفراش لا أنام بســهولة!، يا لحظِّها!، العجيب أنها تقول: إن لديها مشــكلة في النوم، تحتاج لزيارة الطبيب كلما زاد الأمر عليها؛ لذلك أتفنن في تعذيبها واســتثارتها وتحريض أمي عليها؛ حتى تفتح باب الحجرة أثناء نومها، ثم أتسلَّل وكأني ذاهب إلى الحمام وأُضِيء نور الحجرة والصالة لأضايقَها!.

تشعر بأي حركة مهما كانت بسيطة، طالبةً ممن فتح الباب وأنار النور أن يُغلِقهما، أو تقوم هي وتُغلِقهما بهدوء وتُنهِي الأمر!

كيف بالله يكون ذلك وهي في سابع نومة؟!

ألم أقل لكم: إن أمرها يُحيِّرني؟!

المهم هي تعرف أنني أتضــايق منها؛ لأنها دائمًا (تكشِــفُني)، تعرف ما أفعله دون أن ترى ذلك بنفسها، أو يقول لها أحد!

ولَمَّا قلت لها ذلك، قبَّلتني في جبهتي، وجذبت شَــعري بخفةٍ، مازحة، أنت تعلم أنني لا أريد إلا مصلحتك.

لكنها هذه المرة لم تستطع أن (تكشفني) فقد قمتُ بعمل (كلمة سر) للكمبيوتر؛ بحيث لا تعرف كيف تفتحه، خاصــةً وهي شــديدة الاهتمام بعملها، وناجحة في كل شــيء، لكنني قلتُ لأختي فريدة كلمةَ الســر؛ حتى تســتطيع اســتخدام الكمبيوتر إذا احتاجَتْه؛ لأنها طيبة، وأنا لا أدري لماذا أ سمع كلامها غالبًا!، هي تسامحني كثيرًا، ولا تعاقبني إلا إذا فعلت بلوى كبيرة، بل بالعكس إذا أخبرتها ضمنتُ ألا تعاقبني.

أما هذه التي أ شعر وكأنها تقف في حلقي، فلا تجرؤ على عقابي على أي شيء، بل تحاول تجنُّب أن أعاقبها أنا وأ ضايقها - ها ها، صحيح (الأنصاف قامت، والقوالب نامت!)؛ فتثور ولا تُصــرِّح بما فهمته، وأكون قد أخفيته، ثم تقول لأمي الحقيقة من وراء ظهري!.

لماذا يتحامل الجميع عليها ولا تثور إلا نادرًا، رغم أنهم يفترون عليها ويظلمونها!، إنها قوية، حتى عندما أراها تبكي بشــدة، فنادرًا ما تصــعب عليَّ، ولا أقدِّم لها أي عون، رغم أنها على حق، أنا لا دخل لي!، أنا لا أتدخل في أي شــيء إلا إذا كنت سأقلب الدنيا عليها مثلًا، ها ها!.

تســمعني وأنا أُحرِّض الجميع عليها دون أن تهتز لها شــعرة، حتى إن أختي فريدة انقلبت عليها كالغولة، لا أدري لماذا؟! ربما لأي شيء، لا أريد أن أعرفه، وطبعًا فأمي لا تســكت، تُتحِفها بوابلٍ مِن التهديدات والشــتائم، أو أي كلام يجرح، وهي تنظر للجميع بثقة، حتى وإن تفنَّنتُ أنا في اصــطياد أخطائها وتفخيمها بصــورة كاريكاتورية تستفز أمي تُجاهها كالمعتاد، ولربما ردت ردًّا قاطعًا ولا تبالي بردود أفعالهم.

استيقظتْ وهي ثائرة تبكي بحنق وحرقة.

أيغلقُ عني الكمبيوتر؟، كيف؟، أنا لدي بحث مهم يجب القيام به.

قمتُ بســرعة وأنا خائف أن ينقلبوا عليَّ جميعًا، ســبقَتْني أختي فريدة وفتحت لها الجهاز، لكنها هذه المرة لم تكفَّ عن البكاء.

أيغلق عني الجهاز، وبه كل شغلي، وهو يعلم جيدًا أنني سأستيقظ مبكرًا لأقوم به؟!

لكن أمي – وقد شحنتُها على مدى الأسبوع الماضي صباحًا ومساءً – سخِرتْ منها: وما أهمية هذا الشغل إن شاء الله؟!، هل أنتِ تُطعِميننا؟!، «انفلقي» أنت وشغلك، فما فائدته لنا؟!

وكأن كل المشكلة في هذا فقط!.

لكني عرَفتُ مؤخرًا أنها قد اشترَتْه من مالِها، وهو على درجة عالية من الأهمية بالنسبة لها! وها هي أمي لم تفهم شيئًا، ربما تغافلَتْ لصالحي كالمعتاد، وقد غلب عليها ضيقُها حتى إنها ظلَّت تَشتِمُها، ثم أمرَتْني أن آتي لها بالعصا لتضربَها!..

بالمناسبة، هي طبيبة امتياز متفوقة – هاها – حظها في السماء، وأنا ليس لي أي حظ! بصراحة هي غائظة لي جدًّا!، كل هذا وهي تعطينا ظهرها في جِلستها أمام الكمبيوتر، وقد فتحَتْه لها أختي فريدة، وكأنها «مِن بَنْهَا»! لكنها لم تكفَّ عن البكاء، طلبت من أمي أن تتفهم الموقف وتتخذ حلًّا؛ طبعًا لأنها لا تجرؤ على اتخاذ هذا الحل، وإلا ستنكسر هذه العصا وغيرها على رأسها، وساعتها لا أعلم ما سيُسفر عنه هذا الموقف!..

المهم تناولتُ معهم الإفطار –بدونها –طبعًا وأنا في غاية الانسجام، وكذلك أمي!

قمت بعمل الشاي لهم جميعًا –ما عدا هي طبعًا –وأنا مثال الولد المهذَّب اللطيف المطيع؛ كما تقول أمي عني دائمًا، ها ها!..

وهي ما زالت تؤدي عملَها!..

بصراحة خفتُ أن أدخل الحجرة لأذاكر بجانبها كالمعتاد، فرغم كل ذلك كيف سأواجهها إن قامتْ هي عليَّ!..

دقيقتان في التليفون كفيلتانِ بإشعال نيران أخي المتزوج ضدها، وبضع دقائق أخرى كافيةٌ لإشعال الجميع، ها ها، اطرُقْ الحديد وهو ساخن، ألا يقولون هذا؟، أم هي فقط التي تعرف كيف تقول! وكيف تفكر؟..

بسيطة، قليلٌ من التحويل والتدوير في حديثي معها أمس، عند الفجر وقد صليتُ بها إمامًا -يعني من الآخر -قدرت عليها تمامًا، رغم أنني أحب السرعة، أما هي، فلا أدري كيف تُطِيق السجود إحدى وعشرين دقيقةً، حسبتُها لها وأنا ألعب بهاتفي المحمول وقت المذاكرة، عندما قامت لتصلي سُنة الفجر بمفردها!.

أخبرتُها أنني أعلم أنها هي التي اشترَتْ هذا الجهاز من مالِها، فابتسمتْ وربتَتْ على كتفي، ثم حاولت تقبيلي في قفاي، مداعبةً، وهي تقول: حتى تعرف ماذا تفعل معي؟! وكيف تتحكم فيَّ وفي جهازي، وأنا لا أفعل معك شيئًا؟! فمَن تصرُّفُه الأفضل؟!

ابتسمتُ وصمَتُّ، ثم رفعتُ رأسي وأنا لا أمنع نفسي من الضحك، وأُحرِّك حاجبَيَّ اللذين كالمِقشَّتينِ، وهي تشاركني الضحك، وتسألني لماذا أضحك؟، وأنا لا أُجِيب!.

في الصباح قلت لهم: إنها تُعيِّرني بأنها هي التي اشتَرتِ الجهاز من مالها الخاص، وهي حرَّة في استخدامه كيفما تشاء، وأنني ليس لي الحق في ذلك، فثار الجميع، ولا داعيَ لذكر باقي التفاصيل.

دخلت الحجرة للمذاكرة، فأصررتُ أن ترفع كرسيَّها من هذا المكان؛ لأنني -الآن خاصة -أُريد المذاكرة على مكتبي الملاصق لها على كرسيٍّ معين، ولا أعرف كيف أتراجع بظهره للوراء، ولا كيف أمد رجليَّ الطويلتين؟ أريد المذاكرة بمزاجٍ، وهي بوجودها في هذا المكان تمنعني!.

قامَتْ بهدوء، غيَّرتْ مكانها، و ضيَّقت على نفسها لتتيحَ لي «الرحرحة»، فلم أكتفِ بذلك، أتكون قد غلبَتْني؟!؛ «فتلككت» ثانيةً.

وهذا السلك!، ضَعِيه في القابس الآخر.

قلت في نفسي: هي تحكُّمات والسلام، ومَن لا يعجبه هذا البيت فليرحَل، ألا تُحِسُّ وترحل من هذا البيت وتتركني أنعَم بكل ما فيه بسلامٍ؟!

لا أدري إلى أين ترحل، المهم أن أتخلص منها.

أنت الذي تضـع السـلك دائمًا في هذا القابس، انتظر حتى أطفئ الجهاز وأضـع «الفيشة» حيث تريد.

تلكَّأ الجهاز ولم يسـتجب لأمرِ الإغلاق -بركاتي حلَّت كالمعتاد -سـلقَتْها أمي بلسانها الذي لا يحتاج توصيةً، وأنا أشعلها.

أترين؟، تريد تعطيلي عن المذاكرة!.

ثم عندما أعادت فتحَه ثانيةً لم يفتح، ورأت طلب كلمة السـر أمامها، اختنقت من البكاء، وصاحت في أمي:

أترين؟!، كلمة السـر معلقة، ولن يفتح الجهاز، فهل أظل تحت رحمتِه إذا قمت قليلًا لأي سبب، أو إذا انطفأ الجهاز، ماذا أفعل؟!.

قفزتُ قبل أن تتدارك أمي الأمر، انتزعتُ لوحة المفاتيح وأخفيتُها وأنا أضع كلمة السر؛ حتى لا تعرفها، تتنازعني نفسي: أفهمتْ أمي أم لم تفهم؟!.

لكن شـيطان أمي كان يتراقص كالمعتاد في معاملتها لها، فربما أغلق عقلَها فلم تفهم، فواصلت قصائدها السِّبابية لها، ودعاءها عليها بكل شر!، وأنا مبسوط مِن هذا الظلم، لا أدري لماذا!

خائف في ذات الوقت، لا أدري لماذا!

فقلت في نفسي: (خُذُوهم بالصوت حتى لا يغلبوكم).

أشاهدة يا أمي؟!

جاءت أختي فريدة على الصوت وأنقذَتْني، وصرخت فيها:

ألم أقل لك كلمة السر منذ قليل؟!

وهنا اسـترددتُ نفسـي بسـرعة، حمدت الله؛ لأنني خفت أن تقلب أمي الدفَّة عليَّ أنا، (بِنت الذين!.. الذكية!)، عندما جاءت أختَي للحجرة منذ قليل على صوت بكائها، همست لها بكلمة السر، ولكنها لم تفصح؛ حتى لا أغيِّرها وتكون قد ضاعت هي وضاع كل شغلها!

تمسكتُ أنا بكلمة أختي فريدة: ألم تقل لك عن كلمة السر؟ فماذا تريدين؟

وحاولتُ أن أقلب عليها الدفة مرة أخرى.

ذكاؤها يغيظني، قوة تحملها تستفزني، لماذا تتحمل كل ما نفعله معها وبها؟!.

وقد انتهى الأمر على خير، لكنني لا أستطيع مواجهتَها حتى لا تستفرد بي، فهي صاحبة حق، وأنا لا أعرف كيف أمنع نفسي عن إيذائها!

طلبت منهم تغيير حجرتها وحبسها في هذه الحجرة التي بها الجهاز، تنام فيها وتذاكر، وإلا كيف أذاكر وأنا لا أُطيقها! أم يريدونني أن أرسبَ في الامتحان! أو حتى أحصل على مجموع قليل!

تم تنفيذ الحكم عليها بما أشرتُ به أنا، وهأنذا نائمٌ في فراشها، مستمتع بالحجرة بمفردي، وهي تستطيع تكييف نفسها على أي وضع! ولكن: لماذا ترضى بوضعها هكذا؟!

لا أدري!

وها هي تستمتعُ بعملها وتنمية قدراتها! ،هي ماهرة جدًّا في عملها، وأنا مَن أكون؟ لا يهم، المهم أنني أستمتع الآن بأشيائها وبكل ما تحبه؛ أنا كوكو البرنس لا شيء يستعصي عليَّ، ومَن أراد فليُجرِّب نفسه .. هاها..

ما آلمني بعدها شيء مريح جدًّا!، وهو أنني قد عوفيت مِن شرحها لدروسي، وقلت لهم جميعًا: أنا سأعتمد على نفسي، هي ليس لها أي شأن بي، وسأذاكر بمفردي، ولكن قرب الامتحان كالمعتاد طلبوا مني أن أطلب منها أن تساعدني في دروسي، فلم تتأخر!

سألتها: لماذا انتظرتِ أن أطلب منك أنا ذلك؟!

لم تُجِب، ركزَتْ في عينيَّ، فقلتُ لها: هيا نكمل الدرس.

دنانير

رأيتهما من أقصى الردهة ،اتجهتُ نحوهما وقلبي ينتفض من الغضب، خشيتُ تعثر الكلمات بين شفتي ومن (الشوشرة) إن أفلتَ لساني بما لا يمكن السكوت عليه، ضممت يدي خلف ظهري، شددت عودي فى تحد، صوبت عينى فى وجه الفتاة وظهر الشـــاب المقترب منها بشـــدة وهو يهمس فى أذنيها بكلمات جعلتها ترخى عينيها البريئتين وصدرها الناهد يهتز بشدة وأصابع يديها المتوترة يضغط بعضها على بعض..

صحت: دنانير !..

ما أن التقت عيناى بعينى الفتاة حتى تشبثتْ يداها بيدى الشاب والتصقت به ..

انفجرت فيهما، ما هذا؟! .. كيف تجرؤين ؟ !..

أفاقتْ الفتاة وظلت تتخبط وهى تبحث عن مقبض باب الفصــل، جرت إلى الدرج الأخير، وضعت رأسها عليه، أجهشت بالبكاء..

التفتتُ إليه..

- وأنت يا أستاذ!..

صوبت نظرى إليه حانقةً، ألستَ فى مدرسة؟!، وكيف تسمحُ لنفسك أن..؟

قاطعني فى وقاحة وهو ينظر جهة باب الفصــل حتى تســمعَ الفتاة أو أى من زميلاتها فتخبرها..

- أنا زميل لك بالمدرســة التى تقع قِبْلِيّ البلد، جئت لأطمئن على خطيبتى دنانير، لقد كانت متعبة أمس، ولا يوجد فى الدنيا كلها من هو أكثر منى خوفًا عليها، كما أنها تلميذتي أنا قبل أن تأتى أنت إلى هنا، نحن أبناء البلدة الجدعان، الجدعان جدًا –و شدد على كلماته – نكفي المدرســة كلها مدرســين، ولم نكن نحتاج إلى أغراب عن بلدنا لا ندري من أين يأتون بهم إلينا، نحن نفهم فى الأصول جدًا يا أبلة.

قالها متباهيًا متعاليًا وكأنه قد أفحمني !.

أشرت له فى حزم أن يصمت وليفعل ما يريد خارج المدرسة حتى لا يسبب أى (شوشرة) تسيء للبنت..

انصــرفتُ وأنا خائفة أن يقوم هو أو من يســانده بأي تهور يســيء لى أنا أيضًــا، حانقة على كل شــيء، لا أدري أعلى الفتاة ذات الأربعة عشــر ربيعًا فائرة الجســم التى أُلهبتْ مشاعرها وحواسها ؟! ،أم على أستاذها الشاب الحاصل على (دبلون)-كا يقول – تجارة بعد عدة سنوات ر سوب والذى درس لها سنواتها الأولى بالمدر سة، أكانت دروسًــا مثل زرع وحصــد؟!، أم أحب وعشــق واغتال براءة ؟!. وأى فنون الاهتمام مارسها معها حتى تفهمُ ما يشرحُ من دروس داخل الفصل وخارجه؟!..

دق الجرس..

دخلت الفصل كالمستسلمة، الوجوم يعم التلميذات، سارعت إحداهن:

- يا أبلة مريم: دنانير تريد الاعتذار ولكنها خجلة جدًا وخائفة منك ..

- تركتُ الطباشــيرة ونظرت إليها فى هدوء وأنا أبتســم، أرخت جفنيها المثقلين برموشهما الطويلة..

- اعتذرى للأبلة يا بنت..

- هيّا ..

- نحن فهمناها ولن تعود لذلك ثانيةً، سامحيها يا أبلة بالله عليك ..

قامت زهرة كاتمة أســرارها وهى تعدل من وضــع خاتمها الكبير لتظهر الدبلة الذهبية ..

- إنها بذلك قد أضــاعتْ على نفســها الهدية فى البيت أمام أهلها، خائبة، لقد دوختُ خطيبى– سنة كاملة، دفعته دم قلبه هو وأهله، ولايفوت موسم ولا مناسبة إلا

ويأتي وهو يشيل، ويحمل، حتى حفيت قدماه ليرضيني ،وأهلي ويوافقوا على كتابة الكتاب والدخلة بسرعة أم ماذا ؟! ..

أخفتْ وجهها بيديها ونزلتْ تحت الدرج تضــحك وزميلاتها يقرصــنها ويخبطن على ظهرها وكتفيها..

- طبعًا يا أبلة لأنها واعية، ليست مثل دنانير !!..

- شاطرة يا بنت لا يُخشى عليك ..

- نعم يجب على الواحدة منا أن تحافظ على نفســها وتكون غالية (وتتقل على خطيبها شوية ولا تندلق) فلا يراها عندما يريد، وإلا ستمتلئ المدرسة بالشباب لأن أغلبنا مخطوبات (أو قائلين علينا أصلك لا تعرفين يا أبلة).

- هاها..

لم أدر ماذا أفعل؟، ابتســمتُ وأعطيتها مصــاصــة كبيرة ذات ألوان زاهية؛ فامتلأ الفصل بهمهمات الفرح وتعليقاته، ارتمتْ دنانيير فى حضنى..

- والله يا أبلة مريم أنا أحبك جدًا، أنت مثل أختنا الكبيرة وأكثر، لكن بالله عليك إياك أن تقولى لأحد أى حاجة، لو أخى عرف سيذبحنى .

- ربَّتُ على كتفيها بحنان وأنا أسأل نفسى إلى أينا تحتاج هى ؟!..

نجحتْ دنانيير وحصلت على درجات عالية ليس بالطبع لنجابتها الدراسية!، إنما لمجهودات أستاذها العظيمة داخل لجان الامتحان وخارجها.

خلال أيام امتلأت القرية كلها ببطاقات دعوة من أستاذ فاضل المدرس بمدرسة الأمل الإعدادية يدعوهم فيها إلى حضور حفل زفافه على البكر الرشيد الآنسة دنانير.

بعبع

ربما أكون جميلة إلى حد ما، ولكن أين رونقي وقد ذهب مع ضـغطي العصـبي وانفعالاتي المكتومة التى أنام بها وأ صحو؟!، وقد ظهرت بعض البقع الزرقاء فى أنحاء متفرقة من جسمي.

أتمنى أن أكون عنيدة، جريئة، أفعل كل ما أريد أو حتى أدافع عن نفسـي خاصـة أمام مديري هذا الذى يكره نفسـه، وهل هناك من يحبه؟!، يعاملهم جميعًا كرعايا لا يستحقون الشفقة أو الاهتمام، لا يكف صراخه طوال فترة الدوام التى يتفنن فى إطالتها دون بدل عمل، لا تنتهي يوميًا قبل السادسة أو السابعة مساءً.

يشكو منه زملائى مرّ الشكوى رغم أن مكاتبهم بعيدة عنه وكذلك مأمورياتهم خارج مكان العمل تبعدهم عن وجهه ولو قليلًا .

و أين أذهب أنا؟!، والحاجز بين مكتبي ومكتبه لا يتجاوز سـاترًا منخفضًـا من الخشب المزخرف وقد أزاله؟!، لم يكلف نفسه مشقة وجود باب حتى يأتنس بتعذيبي على نار هادئة من طلباته وأوامره التى لا تنتهي، وشـياط أعصـابه الذى يحرق دمي لا محالة عندما يدبُّ على مكتبه قبل أن يسـعدني بصـياحه عليّ دون جرس، يليه سـيل من السباب المقنع :

- أنت كسـولة لا تفلحين فى عمل، فاشـلة لن تتقدمي أبدًا، لا أدرى من أى جهة قذفوا بك إليّ ؟!.

لا أطيق العمل مع هذا الرجل ولا يمكنني ترك العمل معه أبدًا، وأين سأجد مثل هذا الراتب الكبير؟!.

فى الخامسـة والثلاثين ولم أنجب، زوجي وحماتي يشـجعاني بشـدة على اسـتمرار العمل مع هذا المؤذي، يغضبا بشدة وينقمصا إذا ما تكرر هذا الطلب على لسانى .

- حماتي : أنت امرأة كبيرة ناضـــجة تســـتطيعين التصـــبر والتحمل، من أين ستحصلين على مبلغ كبير جدّا من أجل عمليات الحقن المجهري والعلاج ؟!.

- زوجي: أنت تســـتطيعين توفير ثمن شـــقة للمصـــيف بعد عامين أو ثلاثة لنســـتمتع بها معًا يا حبيبتي، ألا تحبين أن نذهب للمصـــيف أو لتغيير الجو وتمضـــية أوقات ســـعيدة صـــيفًا وشـــتاءً فى شـــقة جميلة فى أجمل مكان تطل على البحر؟، نؤجرها عندما نريد لتزيد من دخلنا؛ فنشتري سيارة أجمل من تلك التى لدينا، أو نشتري أخرى بدلا من أن أتحمل توصـــيك يوميًا إلى مقر عملك، فأنت الآن يمكنك الاعتماد على نفسك وقيادة سيارتك بنفسك .

- حماتي : العمر يجرى بســـرعة وأنت تكبرين وتحتاجين لزيارة الأطباء، أتنكرين عصـــبيتك الشـــديدة وأنك تتوجعين دائمًا؟!، أليســـت هذه أعراض الأمراض النفســـجســـمية؟!، ابني ربنا يحميه، يتحملك ويعلم الله أنه لم يشـــك يومًا، وإنما أنا التى أقول ذلك مثلما أرى بعينىّ؛ فأنت مثل ابنتي تمامًا.

- زوجي: اصـــبري يا حبيبتي وربنا ســـوف يعدلها إن شـــاء الله،أنت فى هذا العمل منذ سبع سنوات فقط وتشتكين منذ اليوم الأول وتكرهين مديرك هذا وتخشينه كالبعبع ها ها!، هذه مدة صغيرة جدً فأنا فى عملى الذى لا آخذ منه إلا القليل منذ أكثر من عشر سنوات، لم أتضرر يومًا وراضٍ بقليلى، أتتدللين؟!، أم تَمُنِّيِّنَ علينا بعملك هذا رغم أن مثلك كثيرات ؟!، أنا لا يعجبنى هذا الحال أبدًا .

ويسوّد عيشتى وتتفنن حماتى فى زيادتها سوادًا .

من أين آتى بالنقود اللازمة والعيشة صعبة؟!، يسخرون من رغبتي فى الهروب من جحيم العمل.

يتهمني زوجي: أنت متمردة متبطرة لا ترضى بما قسمه الله لها .

تنصحني حماتي: إذا قمت بعمل عمليات الحقن المجهري تلك بعلاجها اللازم لها عدة مرات وأنجبت لانتهت النقود، ولم تجدي من يكمل مصاريف ابنك ومصاريفك، وأنا ابنى على فيض الكريم كما تعلمين، لكنه طيب القلب والله وإلا لما تزوج من فتاة كبيرة السن، لاتؤاخذيني يا بنتي فأنا لم أقدر على نطقها، يقطع لساني إن قلت عليك عانس عقيم، وهذه العمليات يا بنتي يمكن أن تفشل -كما نسمع هذه الأيام -مع كبر السن وضغطك هذا وتعرضك للسكر لن يرحماك أبدًا، ولن يكون هناك أولاد وتكونين قد خسرت الوظيفة ومرتبها الكبير والأولاد يا حبيبتي فربنا يقول: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[1]، أم أنك غير مؤمنة لا سمح الله؟!.

يمكنك يا بنتى تغيير نفسك ولو قليلًا، والله أنا لن أمانع إذا وفرت راتب خادمة تأتيك أحيانًا، أرأيتى كيف أبحث عن مصلحتك؟!، ويمكنك أيضًا شراء بعض الملابس وتغيير أثاث الشقة كمحاولة للتغيير، أم أنك لم تنظري فى المرآة؟!، أنت لست جميلة؛ السواد تحت عينيك والإرهاق بادٍ عليك ،وهذه النحافة التى تكاد تقضي عليك، نصيحتي يا بنتى أن تهتمي بنفسك بالقليل من هذا الراتب وتهدي ابني حبيبي زوجك بهدايا من التى يحبها قلبه؛ فأنت تعرفين أن ذوقه عالٍ جدًا ويمكنك تدبير ذلك بقليل من الوقت الإضافي فى العمل، أنت ما شاء الله تستطيعين عمل أى شيء يحافظ على بيتك وزوجك وإلا فلن يكون بوسعي منع ابني من الزواج بأخرى، ويرميك وأنت لا ابن لك ولا أهل، فهل يرضيك ذلك يا بنت الحلال؟!.

وقعتُ مغشيًّا عليّ، ظللت فى المستشفى شهورًا ، طلقني خلالها بعد أن خارت قواي وفشلت فى عملي، وقد أخذ كل ما طالته يداه بالتوكيل الذى عملته له كي يريحني من المشاوير وقرف عمل الأوراق والمناهدة مع هذا وذاك، وحماتى مازالت تمصمص شفتيها (عينى عليك يا ابنى زوجتك رضيتَ بها عانس وتمنيت أن يرزقك منها الله بالولد ولكنها لا تنفع فى زواج ولا شغل ولا خلفة !!..).

---

(١) الكهف:٤٦.

ما لكم؟!، ألا تصـــدقون أن هذه هى قصــتي أنا؟! أنا الجميلة ملفوفة القوام الباسمة دائمًا ، أم أحمد ومها ؟!.

لقد تزوجني حبيبي حسن الطبيب الذى وقف بجواري .

أعيش فى بيته – بيتي – معززة مكرمة و هذه الفيلا الجميلة هى هديته لى بمناسبة رجوعنا من رحلة الحج .

أُمُّنا الغولة وبقية المتاع

استفزَّني صراخ الطفل وبكاؤه خلف باب الحمَّام الموارب .

نظرتُ من فرجة الباب، فإذا امرأة شابَّة ضخمة، بيدها خرطوم المياه الباردة ترُشُّ طفلًا لا يتجاوز الثالثة بعنف، وهو يصرخ مرعوبًا.

تلطَّفتُ مع الطفل الصغير:

ما بك يا حبيبي؟

سارعت الأم قائلة: ماذا أفعل معه؟، أأتركه هكذا وأثَر الكلور الموجود بحمَّام السباحة على جلده؟!

فتحتُ الباب قليلًا، ودخلتُ الحمام، فلم تهتمَّ، شمَّرتْ بسرعة وانحنيت أدلِّك رأسَ ووجهَ وجسم الصغير بيديّ المُبللتين بالماء، فامتصَّ الدفءَ منهما وهدأ واستكان.

أثناء ذلك تلطَّفتُ مع الأم حتى لا تأخذها العزَّة بالإثم، فتغضب وتصُبَّ غضبها على الصغير وتعتبرني متطفلةً، وأيُّ أذى بعد هذا الرعب؟!.

أهو ابنك أنت؟ أم ابن زوجك؟

هو ابني.

قالتها ببرود، وكأنه بقيةُ متاع، وإن كان ثقيلًا.

نظرتُ إلى نصف جسمه الأسفل...

عليك بالباقي مثلما عملت أنا.

استسلمتْ وكأنها ستُحرم من متعتها العظيمة!

لَمَّا اعتدلتُ لأنصرف احتضنني الصغير من ساقيّ، وكأنه خائف من تركه مع أمِّه الغولة.

ابتسمتُ لها وأنا خارجة قائلة:

- **لا أوصيكِ...**

شنطة أمنا الغولة

راكبةٌ الميكروباص، ضربت عيني ليس ببعيد، رأيتها...

عباءة شفافة تُظهر ما تحتها، واضحٌ ارتفاعُ ثمنها، مشغولة بالقصب الساعة الثامنة صباحًا، وجهها كله (لمبات نيون)؛ لشدة زينته وألوانه، الكحل سواده فاجر، شرطتا العينين لأعلى، مظلتهما خليط ألوان، رموشهما صناعية، إصبع الروج الذي أكَلَتْه قبل نزولها من بيتها لم يُفْلح في إخفاء الضبِّ العظيم، لكن السعادة التي تقفز من عينيها غطَّت على كل هذا، ومنحتها بهاءً وغموضًا.

تمسكُ بإحدى يديها شنطةً كبيرةً تلعب بها، تؤرجحها ذات اليمين وذات الشمال، ثم تعلِّقها في إحدى كتفيها بطريقة شديدة الميل، حتى يكاد ما بها يَنكبُّ!

صحتْ في نفسي: المجنونة... إنها تحملُ في شنطتها هذه طفلًا!

أنزلني يا أسطى.

أسرعت إليها... من فضلك، ثبِّتي الشنطة هكذا، لا تجعلي رأس الطفل لأسفل، الله يباركُ لكِ.

لم أنتبه للمرأة بجوارها إلا لمَّا ردت عليَّ وكأنها لا تسمع غيرَ نفسها:

هي عروس، وهذا الطفل بنت اسمها: سلمى، هي أول مولود لها، وهي فَرِحة بها.

ما شاء الله، ولكن ما ذنب الأمورة سلمى في هذه الخضخضة التي لا يعلم بها إلا ربنا؟!

ظلت الشابة تعدل في ملابسها وتَضبط طرحتها وهي متوترة...

آسفة أنا أول مرة أنزل في هذا الشارع؛ فأنا عروسة وهذه بنتي أول مولودة لي، آه والله...

قلتُ في نفسي: وأنا وقعتُ في اثنتين من المجانين، ابتسمتُ وأخذتُ منها الشنطة ووضــعتها فوق عربة مركونة، والمســكينة منبعجة فيها لا حول لها ولا قوة، ســمَّيتُ عليها وعدلتُ وضــعها، ناولتها لأمَّها الغولة وأنا أريها كيف تحملها وهما يَضــحكان ويُكرِّران الكلام ذاته، كأنهما لا يَريان إلا أنني مجنونة، مشــيت وما زال مســلســل الخضخضة والضحك مستمرًّا...

أمنا الغولة والعبيطة

سـمراء خمرية، ملامحها عادية، طويلة نحيلة ترتدي عباءة سـوداء مطرَّزةً، يبدو في جنبها الأيسـر أثر خياطة تخفي قَطعًا، في قدميها شـبشـب لامع بإصـبع، أظفار قدميها طويلة مطلية بلونين، مثل أظفار يديها المتآكلة قليلًا، معها طفلان أكبرهما في الخامسـة يرتدي سروالًا قصيرًا وتي شيرت بدون أكمام يبدو عليهما القدم، وكأنهما قد دارا على كثير من أطفال العائلة والجيران قبل أن يصِـلا إليه، والطفلة ترتدي فسـتان بهت لونه، تَصغره قليلًا.

انساب حبل الكلام وطال انتظار الدور لمقابلة الطبيب.

«يا ما دقَّت على الرأس طبول»، أخت زوجي، - الله يُيسِّـر لها - اعتبرتها أختي وأكثر واللهِ، وقلت: عمة الأولاد، وحتى لا تخرب عليّ سـأكسـب ودَّها، فسـاتيني الجديدة- عروسًـا - تنتقي منها ما تريد، أقبِّلها وأقول لها: حلال عليك، تلبَس الجديد وتمسك الشنطة الجديدة قبل أن أمسكها أنا، وأقول في نفسي: من يقدِّم السبت يلقَ الأحد قدَّامه، وقفت معها في مواقف كثيرة، وفي النهاية تحرِّض عليَّ زوجي - منها لله - وأمها وإخوتها يقفون في صفِّها، ولا يخشون الله مع أنه كله سلف ودين.

انطلقت في شكواها وكلامها، وكأنها لا تصدق وجود أذن جاهزة لسماعها متنورة متعلمة، لا تقلل من شأنها، وجارتها تؤكد كلامها، وتحكي ما يشبه حكايتها.

الولد والبنت، يلعبان مع باقي الأطفال، تكررت شـكوى بعض الجالسـات من ضرب طفليها لأطفالهن - خاصةً الصغيرة -، شعرت أن هذا سيؤثر على القعدة الحلوة التي أنسـتهن مرارة الانتظار، من حين لآخر تنادي على البنت وتشـتمها وتمد حبل صـبرها للولد، احتالت على الصـغيرة بابتسـامة، وأنها لن تضـربها كما تفعل مع أخيها الذي يخلص نفسـه بنفسـه مع باقي الأطفال، ويضـرب الكبير منهم، كما يضـرب الصغير، لكنه على أي حال ذَكَر، وماذا يعيبه؟!.

وكأنها قررت أمرًا، لاكت اللبانة في فمها باستهانة، دارت بعينيها في المكان، نادت البنت، وبابتسامة حاولت تهدئتها قائلة لها أنها لن تضربها كما تفعل مع أخيها.

نظرت إليها الصغيرة خائفةً، وظلت تحك شبشبها بالأرض، فقالت لها:

لا تخافي، لن أوذيك، أنا سامحتك والله العظيم.

والصغيرة تنظر إليها تارةً، وتارة أخرى تجول بنظرها في الآخرين؛ علَّها تجد من يؤكد لها ذلك أو ينفيه، وهن ما بين منتبهة لها وغافلة عنها، تقدمت خطوة وأخرى زحفًا بطيئًا، والأم توسِّع ابتسامتها، أخرجت من كيسها قطعة لبان وظلَّت تهزها في يدها وتقول لها:

خذي هذه، تعالي خذيها.

جرت البنت إليها وقد زال خوفها واتسعت ابتسامتها البريئة مزينةً وجهها الجميل، والأم تفتح ذراعيها لها مبتسمةً، ولمَّا اقتربت منها لتحتضنها وتأخذ قطعة اللبان، صفعتها صفعةً جعلتها تنكفئ على وجهها مصدومةً صارخةً والأم تضحك بسعادة!، ومن حولها منزعجات من المفاجأة:

- ليس هكذا، حرام عليك، البنت صغيرة!

انهارت دموع الطفلة الصغيرة بغزارة غير مصدِّقة!

حتى تكفي عن الشقاوة وضرب الآخرين، أخذك الله، لقد زهقتني!

ثارت فيها امرأة عجوز ممن تعاطفن معها منذ دخلت وسط ذهولنا جميعًا.

أتضحكين؟!

بصراحة البنت عبيطة جدًّا؛ صدَّقتني وارتمت في حِضني!

أمنا الغولة والإنترنت

منذ متى والدنيا كانت حائلًا بيني وبين ما أريد؟!، الحق أن الصحة لم تعد كما كانت، ولكن إن ذبلت الوردة فرائحتها فيها، أيام!..، وهل هناك مَن كانت تقف أمام جمالي ودلالي وذكائي؟!

وما زاد الطين بِلَّةً السُّلَّم العالي الذي كنت أصعده وأنزله في رشاقة غزالة، ورنة كعبي العالي تنبئ عن جلالي؛ فمن الجارات من تخرج وتفتح الباب على حسي: صباح الخير يا رتيبة، صباح الهنا يا أم محمود! ومنهم مَن يضبط ميعاد نزوله لعمله أو قهوته على ميعاد نزولي، ومهما تأخرت يظل يتلكأ ويتمحك، حتى يراني ويسعد بصباحي ومسائي، ويصل الود على قدر ما يقدر...

أمَّا الآن فلا نزول ولا طلوع، وقد انقطعت الأخبار التي كنت ألمُّها كلها في جيبي، لم تكن تحلو أي قعدة ولا سهرة إلا وأنا أتوسَّط الجارات والصاحبات، وأحكي عن هذه وأقلِّد مِشيتها، وتلك ضحكاتها وحركاتها -بكل خير طبعًا -ونظل نضحك للصبح، فلا شاردة ولا واردة تخفى عليَّ، وأولادي وبناتي حولي، ثم أبناؤهم وأحفادهم.

صرت عجوزًا في الثمانين، عندي من الأحفاد والحفيدات وأبناء الأحفاد أكثر من خمسة وثلاثين، صلوا على النبي.

طبعًا البنات القمرات ليس لهن إلا الأزواج -على الفرَّازة -مال وجمال وشباب، حسَب ونسَب.

تعجبتْ، وأشاحت بيدها وكأنها تبعد عن نفسها شبحًا لا تحب أن تراه...

(بلا خَيبة ... كله محصلٌ بعضه، الذي أخدته القرعاء تأخذه أم الشعور) حكاياتهم ومصائبهم لا حد لها ولا آخر، لكن الحمد لله كلها بيوت مغلقة على ما هي فيه!

آه، المصـــيبة أني لم أعد أعرف أي شـــيء عن أي أحد، بعد أن انشـــغلوا بأبنائهم وأحفادهم وأشـــغالهم ومصـــالحهم، منهم مَنْ ســـافر، ومنهم من درَس، صـــرت كمًّا مهملًا، لا حاجة لأحد به!

صـــممتُ على أن يزورني أحمد وكمال حفيدا ســـمية بنتي ويبيتا عندي، أغريتهما بالمال والهدايا والأكل الجاهز كل يوم، وبأن بيتي قريب من مركز الدروس الخصـــوصـــية الذي يذهبان إليه.

وبكلمة في حكاية أعطيتهما نقودًا ليشـــتريا لاب توب، وعن طريق الإنترنت – العفاريت – دخلا على صفحات جيران العمارة والشارع كله وأهلهم وأصحابهم، فلم يُكذبا خبرًا وقد أعجبتهما اللعبة، وأتيا لي بجميع أخبارهم ومصائبهم، بصراحة لم أكن أعرف أن الإنترنت هذا فضيحة كبيرة، والناس لا تعرف!

الحزينة تقول: أنا فرحانة وتتصور (سيلفي)؛ لتكيد سلفتها، وأبو عينين زائغتين يقول أنه (سينجل)، والشاب (الروش) والشابة التي ترى نفسها جميلة الجميلات وتريد أن تقنع الآخرين بذلك، تعمل لنفسها العديد من الصفحات، وكله بأسماء وهمية وشخصيات غريبة لا تدري مَن المَلَاك ومَن الشيطان، لكن على مَن؟!، أتتبَّعها مع العفريتين: أحمد وكمال ونأتي بقرارها، ها ها...

أحكي لهما عن كل شـــخص بما أعرفه وما أُخمنه، ثم نشـــترك كلنا في البحث عن باقي الصفحات، وفي جمع الفضائح والحكايات عن من يُبدِي التديُّن والوقار وهو في الواقع ذئب وزير نساء، والتي تضع لنفسها صورًا لسندريلا وهي في الحقيقة أم سحلول!.

وصـــورة فلانة قبل ذهابها إلى مركز التجميل الفلاني، وصـــورتها بعد ذلك، وتدرك (الفلوس التي أعمت النفوس، وأظهرت المعادن).

العفريتان قرصـــنا على باقي الحســـابات والصـــفحات، وأتيا بقرار الكتوم قبل الثرثارة، وعرّفاني أين يُخفي العفريت، ابنه!

ربنا يحفظهما لي، أليس أعز الولد ولد الولد.

ما زال في العمر بقية وما زالت المتعة متاحة.

علَّماني كيف أدخل الحجرات المغلقة، وأعيش الحياة على راحتي، وأنا أشجعهما وأكافئهما، ها ها...، ويقولون: إني عجوز مخرِّفة لا تنفع لتربية ولا حياة حديثة، فكيف يتعلم الصغار ويتربون إن لم يعرفوا الخطأ قبل الصواب؟!

كل مَن مـ شى مـ ستقيمًا ومن مـ شى معوجًّا، ألا ينخدعان بما يـ سمعان وما يريان، ألست أُمًّا وأخاف على أبنائي وأحفادي؟!.

ولكن ماذا أقول؟! قلبي على ابني انفطر، وقلب ابني عليَّ حجر...

• أُقبِّل يدك يا بنتي لا تأ خذي الو لدين والإنتر نت مني، لا تأ خذي الو لدين وسأكتب لكم كل ما تريدون، سأموت بدونهما.

وأخذتهما...

مواليد ستة

مواليد ســتة مثل قطع الســكر، ذات حجم محير فى صــغره وابتســامة عذبة فى غموضــها، كل اثنين يشــبهان بعضــهما البعض، اثنان مغمضــان العين مقرفصــان، الذراعان ملتفان حول الساقين، واثنان نائمان واضعان ذراعيهما اليمين حول رأسيهما وذراعيهما الشمال أسفل أذنهما اليسرى، واثنان نائمان على جنبهما الأيمن وكل منهما يضع يده اليمنى أسفل أذنه اليمنى وساقاهما مثنيتان.

قدمتهم إلىّ على صينية خمرية اللون كبشرتهم تبدو مثل لوح خشب جميل.

– هؤلاء الستة هم أولادك، حمدًا لله على سلامتك.

– سلامتى ؟!.

أنا وسط مجموعة قليلة من الناس، يبدون كأسرة، وأبدو وكأننى أخصهم لكننى لا أشعر أنهم يخصوننى.

هم مبسوطون يتحدثون فيما بينهم حديثًا وديًّا.

وهى ..

عيناها تشــوبهما الســعادة المخلوطة بحزنٍ ما، على قدرٍ ما من الجمال، قمحية اللون، حيرنى وقوفها جانبى وحديثها الودى معى وأنا لا أعرفها وكأنها تعرفنى منذ زمن بعيد !.

– مبارك مواليدك الستة، بارك الله لك فيهم.

– مواليدى أنا؟!.. ستة ؟!

رفعت عينى إليها وأنا لا أعرفها .

– نعم أنا زوجته، ليس لدى أولاد

-     . زوجته؟.. من؟.. أنا لا أذكر شـيئًا، لو كنت أعلم بوجودك لما كنت هنا، يمكنني أن أمشى لحال سبيلى ولا أرجع ثانيةً، لا يمكن أن أسبب حزنًا لأى إنسان مهما كان.

نظرتُ إلى مواليدى الستة ..

-     لا أدرى إن كان فى مقدورى أن تأخذى واحدًا منهم ، أيكون لى ستة وأنت لا شىء؟!.

عصرت مخى علنى أتذكر شيئًا أو أستوعب شيئًا فلم أستطع .

رجعت إلى حيث تجلس أمى وأختى إلى منضدة قريبة، قرّبت إلىّ المواليد الستة، تأملتُ جمالهم وعذوبة نومتهم الهادئة، هم يشبهوننى ولا يشبهون أحدًا سواى، ترى من يكون أباهم؟!

ما شكله ؟ ما اسمه، أين هو ؟ كيف حصلت عليهم ؟!.

أتكون ابتسامة القمر يوم اكتماله ومسه لى بعصاه السحرية قد وهبت لى هؤلاء الأطفال الملائكة يوم شعرت بأنفاسه واقتراب النيران منى؟!.

لقد وجدت إشارة مكتوبة بماء الفضة متوجة بحبات اللؤلؤ والألماس؛ فدعوت الله أن يستجيب لى، لم أفهم تلك الإشارة واكتفيت باستمتاعى بالنور الذى داخلنى وكأنه مس الملائكة.

رغم الحزن الشفيف الذى طاف بى يومها ولم يفارقنى إلا أننى أيقنت أن الله موجود وقد ملأ قلبى حنانًا وعشمًا فى وجهه.. ربما...

سألت أمى وأختى فلم أظفر منهما بأى إجابة تبل ريقى، متى؟.. كيف؟.. من يكون ؟ أتذكرانه ؟.. هل رأيتماه؟.. هل تعلمان بوجوده؟.. هل هو موجود؟.. هل تقابلنا فى الخيال؟.. هل تقابلنا فى الواقع ؟.. أنا لا أخفى عليكما شيئًا فلماذا لا تجيبانى؟!.

لا أتذكر أننى قد تناولت شـيئًا من الدواء أو قام أحد الأطباء بالإشـراف علىّ وتنشيطى حتى آتى بكل هؤلاء!!!..

من أين أتوا جميعًا ؟!.

حملتُ حملى الثمين وهاتف ينادينى.

يا مريم .. يالكِ من محظوظة لم تقنطى من رحمة ربك .

حسنة

أهل الخير حوالينا كثيرون، لمّا ابنى مرض وطال مرضه أشاروا علىّ :

- أكفلي يتيمًا.

قلت: تاهتْ ولقيناها .

فاتحتُ زوجى فى الموضوع ابتسم وقبلني بين عينىّ ..

- وهل هذا يخفى علىّ؟!، أنا ولله الحمد أكفل أسـرة زميلنا فلان الذى كان يعمل معى زمان رحمه الله، ربما لا تتذكرينه ، أرسل إليهم شهرية نقدية، أسلمها أول كل شهر لعم علوان ليوصلها إلى أرملته فى ميدان لبنان.

فرحتُ أنا والله وا ستبـشرت خيرًا، خا صةً وقد أتم الله شفاء الولد و صار كالعفريت يزيط و يتنطط ،ولا يكف عن الطلبات؛ لكنى ولله الحق أفهّمه وأقنعه، والولد ما شـاء الله مطيع وعال العال.

للأسف عم علوان سافر إلى أهله فى أسوان، فاقترحت على زوجى توصيل الشهرية إلى الست خيرية أرملة زميل زوجى زمان عن طريق قريبتي الحاجة فوزية ،هى تفهم فى هذه الحالات .

أخذت منّي العنوان والأمانة عن طيب خاطر وذهبت إلى هناك ، بيت جميل وإن كان متوا ضعًا، الـشقة تمليك يعنى لا تدفع فيها أى إيجار، ومعا شها من والدها -رحمه الله-غير قليل هذا غير اللحم والخضـار وأغلب طلبات البيت الذى يبعث بها إخواتها مع مصـاريف الغاز والكهرباء والذى منه، تعيش بهم يومين فى بيتها مع أولادها، وباقى الأسبوع عند الست والدتها وأهل الخير لا يتركونها، هذا يحن عليها وهذا يحـضر مـصاريف المدر سة لأولادها ويتكفل بالدروس الخصوصية ، وهى جميلة ما شاء الله وفى السن صغيرة ، تتمنى زوجًا شابًا ثريًّا كريمًا يربّي معها الأولاد ويصـونها ويعينها على طاعة الله-رغم أن عدتها بعد موت من كان زوجها لم يفت عليها أكثر من ثلاثة شهور وثلاثة أيام -تكره الشغل ولا تريد أن يتحكم

فيها صـــاحب مال أو مطمع، تريد أن تتفرغ إلى بيتها وتربية أولادها، حتى بعد أن عرضت عليها قريبتي وظيفة سهلة بسيطة فترة دوامها قصيرة لا تبعد عن عنوان بيتها رفضت بمسكنة وقالت: هل أنا أتحمل بهدلة؟!.

– يا حبيبتي هذه الوظيفة راتبها كبير، وأجّري شــقتك واذهبي عند والدتك– ولو مؤقتًا – حتى يقف أطفالك على أرجلهم وتدبري حالك على الأقل بهذا المبلغ ولديّ الزبون .

وهكذا الدنيا ســتكون أفضــل وتكفّين نفســك وأولادك بالحلال ولا تأخذين حسنة من مخلوق .

بكت وا شتكت أن أمها لن تتحملها، وكذلك إخوتها لن يتحملوا شقاوة أولادها بعد أن كانت تقول فيهم جميعًا شعرًا وسبحان مغيّر الأحوال .

ثم ترجّتها ألا يؤخر عنها زوجي الشــهرية، ويزيدها على قدر ما يقدر، لكثرة ما يلزم خا صة مع دخول شهر رمـضان وكثرة الاحتياجات للياميش والتمر وكل نفيس، أخبرتها برغبتها فى التعرف على هذا المحسن الكريم، ولا تتعب نفسها بالمجىء، وهى امرأة كبيرة الســن، وأنها تريد أن تشــكره وتكرمه ،وتدعو له بصــلاح الحال وســعة الأرزاق ودوامها .

عقلى طار ودمّى فار، الأرملة الطروب الشــغل لها بهدلة ولو كان ســهلًا بســيطًا قريبًا تتمناه كثير من النساء، وكى تكون سيدة فى بيتها، لا. بل فى قصرها فلابد من زواجها من أمير يحقق لها كل أحلامها، فلتبحث عنه بعيدًا عن زوجي فالسماء أقرب لها.

هى غير محتاجة وتقبل الحســنة!، بل تطلبها وتتأمر، تريد التعرف على صــيدها؛ وأنا زوجي رقيق القلب يلين من كلمة ، وتسكره نظرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أخبرت زوجي بكل أخبارها ما عدا طبعًا طلبها برؤية طلّته الكريمة والتعرف عليه، الخبيثة بحثت عنه وذهبت إلى عمله فى عباءة ســوداء هفهافة عطرها يســبقها وخطوتها تزلزل الأرض تحت أقدام الرجال !.

تهافت عليها الزملاء والمدير والغفير وكثير من العملاء، لأدبها وخلقها ووفائها لزوجها و شكرها لمن أحسن لها وامتنانها، أما عن نظرتها الحزينة المنكسرة التى تأسر قلوب، وتكسر أنوف وألوف فحدث ولا حرج!.

تـ سابقوا لكـ سب ودها والإحـ سان إلى أولادها اليتامى من حرموا نعمة الأب – يا حرام!، تمنى كل منهم أن يكون لهم خير أب، ولها خير زوج وسـتر، حتى دخل عليّ ابني أمير الشباب إيهاب وفي ذراعه عروسه أميرة الأميرات الست خيرية!.

حتى الآن

لا أعرف علامَ تزوَّج هذه الحيزبون التي لا تُحِسُّ؟! يومَ فرحها أخبرتُها أنا وابنتي بعدم تناسق زينتها وجسمِها؛ فقد كان عليها أن تذهب لمتخصِّصٍ يشفط وينفخ ويغيِّر؛ حتى تنضبط ولو قليلًا.

«عيني عليك» يا بن أختي يا حبيبي يا نور عيني؛ حتى ذيل فستانها الواسع كالبرميل، كان يجب أن تنزع منه على الأقل مترين.

ردَّ عليَّ لحظَتَها:

عروسي يغار منها القمر، تعجبني وأعجبها، تحبُّني وأنا أحبُّها.

مرَّ الفرح علينا بالغمِّ والهمِّ، وهي مسرورة ولا تهتمُّ، أَبَعْد كل ما قلناه ولا تهتم؟!

لكن على مَن؟!

في شهر العسل اتصالنا بهما لم ينقطعْ، كلامنا كله – والله – مجاملة وللاطمئنان عليهما، راعينا فيهما ربَّنا؛ لكن للقلب حُكْم، لا يفيد معه ذمٌّ ولا دمٌّ.

أسمعناها كلامًا يحرق الدم يلهب ويشعل:

(خفِّي يا حلوة عن الجدع)، الشغل وراءه، والمصاريف كثُرَت عليه، كفاية! أوجعتِه وأتعبتِه، وأيضًا لشغله تريدين أن تُخَسِّريه؟!

لكنها بكلِّ رذالة ووقاحة ردَّت:

لكن يا «طنط» نحن سرورنا ليس له حد، ولو ظللنا العمر كلَّه لن يشبع بعضنا أبدًا من بعض ، دعونا في حالنا وانظروا أنتم حالكم.

وضحكت ضحكةً زادتنا غمًّا بغمٍّ.

لم نُكَذِّب خبرًا أنا وابنتي، وقلنا: الهجوم خير وسيلة للدفاع.

قلت له:

يا بن أختي المرحومة، حبيبي ونور عيني، نريد أن ننزل عندك بضــعة أيام فقط حتى ننهي أعمال السـباكة والنجارة والنقاشـة في بيتنا، ومهما أقمنا عندك يا حبيبي فلن نظلَّ على الدوام، وأنت سيدُ العارفين.

ولم أَنْسَ -طبعًا -أن أعتذرَ عن عدم نزولي عند أيٍّ من أبنائي؛ فزوجاتهم شحيحات قبيحات سـليطات اللسـان، وأيُّهن تسـاوي ظفر عروسـك سـتِّ البنات نقاوةِ عينيك وقلبِك يا حبيبي، فهي لا شك جميلةٌ مطيعةٌ، تعرف قيمة زوجِها وأهلِ زوجها، تُكْرِمهم وترى طلباتِهم بإحسـان، وإن لم يكن الإحسـان طبع الملاح، فلمن يكون الإحسـان يا زوج سـتِّ الملاح؟!، فما بالك وأنا خالتك الوحيدة، بعد أمِّك أنا حماتها، وهي بمنزلة بنتي وحبيبتي سلمى عمَّتها؟! أم ماذا تحسبنا نكون؟!

وما أن رحب حبيبي حتى طِرْنا من الفرح وسـجدنا شـكرًا لله ربِّ العالمين؛ فقد اقتربنا من مرادنا، وتحقيق أملِنا، فماذا وجدنا؟!

توتة يا خالتي ما شـاء الله حامل والوحم يُتعبها، ترجيع ونوم على ظهرها أغلب الوقت، لا تُطِيق رائحةَ الأكل والطبخ، وحالها - يا عيني - آخر عجب، ربنا يتمِّم لها على خير وتقوم لنا بالسلامة.

لنا؟! ثم اسـتدركت بسـرعة: آه، نعم يا حبيبي، طبعًا تقوم لنا بالسـلامة، سـاعة بالكثير ونكون عندك.

ونقلنا كلَّ ما نقدِرُ من متاعنا ونزلنا عنده، ونيتُنا كل خير.

قَفَلا حجرتهما منذ ربع سـاعة كاملة، وكلامهما همس لا أفهم منه كلمة، ابتعدتُ قليلًا وناديت:

أحمد يا حبيبي، أتترك خالتك وابنة خالتك وتقعد مع زوجتك وتُغْلِقان الباب عليكما؟! عيب يا حبيبي، تعالَ اقعُدْ معنا.

اعتذر مُحْرَجًا.

توتة يا خالتي منذ الصباح لم تأكل شيئًا وتعبت معها.

ضحكت أنا وابنتي في صوتٍ واحد:

ها ها، دلع بنات و(سهوكة)، اسألني أنا، لمَّا يقرُصها الجوع ستأكل غصبًا عنها.

بعد خمس دقائق كاملة لم أُطِق انتظارًا، طَرَقْت الباب وأنا أُمسك بمقوده فانفتح.

لم تأتِ أنت يا حبيبي، قلت: آتى أنا.

التعبانة الممدَّدة على الفراش وهو يدلِّك لها قدميها وظهرها، انتفضت بسرعة وقامت تتكئ على ذراعيه وكتفه!.

لماذا يا خالتي يا حبيبتي لم تنتظريني؟ ألم أقل لك: إنني سآتي حالًا؟

وهل هذا هو (حالًا) يا بن أختي؟! وما المشكلة؟! أليس ابن أختي هو ابني، وقد أوصتني المرحومة الغالية به وأوصته بي؛ فلا بد أن يكون بيته بيتي.

وأظهرت أَسَفِي وإحراجي؛ لأنه لم ينزلني المنزلة التي أستحقُّ، وأنا أعلم جيدًا أنه لا يُطِيقُ هذا.

رَبَّت على ظهرها، وقبَّلها في جبينها، وقام ورائي.

«بنت الذين....» دائمًا يدافع عنها، علامَ؟!، أهي في جمال بنتي وشطارتها؟! أعيناها زرقاوان مثلها؟!، أم أنَّ شعرها الغرقان بالماسكات والكرياتين مثل شعرها الحرير الطبيعي الهفهاف؟! حظوظ والله!

ذهبت بنتي لتساعدها في المطبخ، رغم أننا ضيوف عندهم وعليها خدمتُنا وإكرامُنا؛ فأكلُها يا مغيث! ويدَّعي أن زوجته ليس هناك مثلُها؛ شاطرة (وبنت حلال مصفِّي!)

– ها، ماذا ستطبخين لنا اليوم؟ أطلب عربة الإ سعاف؟ فلا بد أنَّ أَكْلَك (يع!) لا يؤكل، لا أدري لماذا يصبر عليك حمادة ابن خالتي؟! واضح أنك مدلَّلة ولم تدخلي مطبخًا، حتى رائحة أكلك...! لا بد أنك مقروفة منها ومن مطبخك غيرِ النظيف، أليست هذه الحلَّة لم تُغسل منذ أمس؟ ولماذا تسارعين بالترجيع باستمرار؟! حتى ما في بطنك سيكون –طبعًا –قبيحًا مثلك، عيني عليك يا حمادة يا حبيبي صَبَرت ونلْت!

كل هذا وهي لوح ثلج، باردة، لا أعرف من أين أتى بها لنا! فصممت ابنتي على استفزازها؛ حتى لا تُقهر هي.

بالمناسبة، حمادة أنا حبيبته قبل أن يعرفك، أنا رفضته ولمَّا لم يجد سواك تزوَّجك، هاها... نصيبه!

هنا ثارت؛ فقد عرفت بنتي كيف تغيظها، لكنها تماسكتْ قليلًا وردَّتْ باستهانة:

زوجي حبيبي لم (يطفش) منك من قليل، وأظن أن شكلي جميل ومريح، لكن عينيك لا تريان إلا كلَّ قبيح.

دخل زوجها عليهما في هذه اللحظة، لا أعرف مِن أين حصلت ابنتي على كل هذه الدموع والنهنهة، وارتَمَتْ على صدره!

انظر يا حمادة: زوجتك قليلة الذَّوق، ماذا فعلت فيَّ؟!.

رفعها عن صدره بسرعة وهو يبتسم ابتسامةً ساخرةً ويطيِّب خاطرها.

ألن تكُفِّي عن هذه التصرُّفات الخائبة يا سعاد يا أختي؟ ألن يتوب الله عليك؟!.

وظلت هي وزوجها يضحكان ولا يستطيعان إمساك نفسيهما من الضحك، هنا فقط صار بكاؤنا حقيقيًّا، وتركنا البيت أنا وابنتي بلا رجعة.

معذرةً... حتى الآن!.

من يطرق بابي ؟!

في سيره الذى يشبه طفلًا يتعلم المشى ،جذبتنى عيناه ، قارب السبعين من عمره ، فى يده كيس بلاستيك به طعمية وفول ، يمد يديه وكأنه يشد نفسه أو يطلب المدد من الله .

انتظرته حتى يتخطى كومة الرمل التى سدت الشارع ، شعرت بضيقه لأنه ربما يعطلني عن عملى فى هذا الصباح الباكر .

- على مهلك يا حاج .

- خذي بيدى يا ابنتى .

مددت يدي إليه فارتبك، اقتربت منه وقدمت له ذراعي فأمسك به، وكأن أبي عاد إلى الحياة من جديد .

نظافته ، بقايا أناقته التى يحاول الحفاظ عليها، يده المعروقة الناعمة التى غابت عنها الخشونة الناتجة عن العمل منذ زمن بعيد .

ربت على كتفي ..

- لا تؤاخذيني يا بنتي .

همت –فى نفسي– بتقبيل يديه.

- لا بأس يا حاج، أنا مثل بنتك .

- أنا مهندس على المعاش ، كنت رئيسًا لـ.. ، فى أيام .. ، فى حالي دائمًا، ربيت أولادي كذلك، كل منهم شــق طريقه بعيدًا عنا أنا وأمهم، لا يطرق بابنا أحد إلا نادرًا، ولكني والحمد لله أصلي فى المسجد يوم الجمعة .

- الجمعة فقط؟! ، يمكنك أن تصــلي فى المســجد ما تيســر لك من صــلوات أثناء اليوم.

ابتسمت فى ود. .

- أى شـاب من الجيران يمكن أن يمر عليك ليوصـلك فى طريقه ويكون لك صحبة طيبة .

نظر إلىّ فى حنان :

- يا بنتي كل مشـغول بحاله ولا أحد يجد وقتًا لأحد، وأنا طول عمري فى حالى؛ فلم يعرفني أحد .

انهمرت دموعي .. وأنا أيضًـا طوال عمري فى حالي؛ فهل سـأجد يومًا من يطرق بابي ؟!..

جنيه ونصف

الصرخة المخنوقة فى صدرى شقت عنان السماء، أنا أناجيه حبيبي ﴿رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ﴾[1]، عشمى فيك يا كريم .

أشــق الزحام وحيدة، وقد غاب عقلي إلا عن رضــاه، يعلو صــوتي قليلًا تنفيسًــا عن صرخاتي التى تتأبى عليّ والألم ينهشنى .

- لا داع لأى عملية، لا تتعبي نفسك .
- لكن الأمل موجود ما كانت الحياة .
- من قال غير ذلك؟!، تظل المعجزة المنتظرة هى أمر الله.
- ألا يوجد علاج؟!.
- يكفيك المسكنات، تحملى أفضل .
- ولا حتى جراحة؟.
- لقد طفتِ وسعيتِ؛ فماذا وجدتِ ؟! ، لك الله .
- ونعم بالله.

آثارنى حس، نظرت للخلف غير بعيد، التقطت ذبذبات مناجاته .

- أليس هناك – يا رب – جنيه ونصف للمواصلات ؟!.

التفت إلى مصدر الصوت، شاب عادي، فى العشرين من عمره، قال لي بتلقائية:

– فلوسك وقعت منك أنت أيضًا ؟.

---

(١) الأنبياء:٨٩.

وقفت مرتبكة، ا ستندت على عربة مركونة، فتشت فى حقيبتي لم أجد غيرهما: ورقتين كل منهما بمائة جنيه رفض الطبيب أخذهما منى نظير زيارتي له، ولم يكتب لى تذكرة علاج تأكيدًا لكلام غيره .

- أمسكتهما بيدي ،تذكرت أنى لا أملك غيرهما لنهاية الشهر، وأنني أحتاج مسـكنات، و جدت بعض القطع الفضـية فى ركن الحقيبة، اسـتبعدت قليلًا منها لمواصـلات العودة للبيت .. قدمتها له على اسـتحياء مع إحدى الورقتين، مدّ يدًا مرتعشة، أخذ الفكة فقط وهو محرج، رفع عينيه..

- أنت تبكين؟ !.

قالها بهدوء وود .

ابتسمت ..

- لا .

- لا تخشي شيئًا طالما أنك فى معية حبيبك سبحانه وتعالى مثلي .

ابتسمت ثانيةً .

ادع لى .

انصرفت وقلبي يرفرف بلا أى ألم، وقد جفت دموعي .

أشياء عادية

كنت أجري شـــبه خائفة، رأيت عمارات وشـــوارع ، صـــحيح لا أعرفها لكنها عادية، صعدت سلالم العمارة ودخلت الشقة – البيت– كنت غريبة، لكني أليفة هادئة كعادتي، الصـــالة واســـعة جدًا تحتوي على أكثر من طاقمين أنتريه جديدين وكراسٍ منجدة متناثرة وسفرة ..

طرق الباب أحدهم ،كان هناك حوارات داخل وخارج الشـــقة، وأنا لا أهتم بما حولي، آخر ضـــيوف طرقوا الباب وطلبوا ز يارتنا، لم يكن هناك ارتياح رغم وجود ترحيب شديد – منهم– كالمعتاد!، بعد مشاورات دخلوا.

مدام نهى اســـتأذنت فى مجيئهم ومع ذلك لم تمتدحهم، اعتبرنا الأمر كأن لم يكن، وشكرناهم على حسن نواياهم .. واليوم يطلبون الزيارة وقد جاءوا!.

النور انقطع وعلى ضـــوء الشـــموع، كان هناك ضـــوء خافت يأتي من الخارج فلم أتبينه من جلسته، حاولت أن أتفادى عينيه وأتوارى عنه حتى لا يراني؛ جلست فى صف المقاعد التى كنت أقف بجوارها .

هادئ، عادى ولكنه أليف، شـــعره خفيف ناعم، الجميع قالوا: لا، أرادوا إنهاء المقابلة ومازال النور منقطعًا!، فجأة أتى ثم اختفى ثانيةً ،لم يهتم أحد بانقطاعه ولا بمجيئه، شيء داخلى جعلنى أفكر فى الترحيب به–رغم تخوفى –لم أدر ما هو ولا أعرف لماذا ؟!..

عند الانصـــراف لم يشـــدد أحد على يديه ولا على يد من معه وكأنما الأمر لا يهم!، حاولت الوقوف خلف أختي لأتوارى عن عينيه، أحس بي، احتواني بابتســـامة دافئة حيية لم يلحظها ســـواي، شـــعرت بوجوده القريب مني، مددت يدي بالســـلام إشـــارةً – كعادتي فى عدم مصـــافحة الغرباء –لكننى بكل حميمية وارتياح ربت على ظهره برقة وحنان، اســـتكنت جواره، وكل منا يشـــعر بحضـــور الآخر الطاغي، لا أدري أين ذهب منى الحذر والتحفظ، شببت على أطراف أصابعي وهمست فى أذنه.

إذا كنت طيبًا وحنونًا وكنت لي اســـأل عني ولا تتركني، جاوبتني د قات قلبه بموسيقى اسمي.

تركني وأنا معه، أسـكن كيانه، دقات ومضـات مشـاعره ناعمة، واثقة، تملأني، لكنها لا تزيل الخوف أبدًا بداخلى ....

إنسان

شدتني وقفته ، عيناه خرزتان عميقتا النظرة بما لا يتلاءم مع أسماله البالية، شعر رأسه ولحيته الذى يشبه لبدة الأسد، وقد اخضلت بلون التراب، وانبعجت وتلبدت فلا تعرف لها أول من آخر، يستعطف رب الأقدار أن يقدر له من يساعده -فى رباطة جأش بين الرهب والرجاء -، ينظر إليها، يحاول الاقتراب منها، لا يجرؤ!.

وقفت لأستطلع الأمر، واقف فوق الرصيف بين نهريّ الطريق ، يحاول النزول تارة فلا تمهله العربات المسرعة، ربما دهسه أحدهم وهو يضحك ، وهل لمثله دية؟!، وهل هناك من يبكيه!، ومن ذا الذى يفكر فى الاقتراب منه وإنقاذه؟!، أو إنقاذ كل ما يملكه من حطام الدنيا.. ؟! .

يتقدم تارة ويتأخر أخرى، أعاد المحاولة مرارًا، السيارات تعانده فتسرع أمامه لامبالية، ربما رماه صاحبها بنظرة أو كلمة نابية، هذا غير الضحكات الساخرة و أكياس الزبالة التى يشيعونه بها أينما ذهب .

حاول أن يشير بكلتا يديه علّ أحدهم يقف ويتبعه آخرون حتى يركع ويلملم أشلاءه .

لم آخذ قرار التحرك إلا بمشقة؛ تقدّمت، فردت ذراعيّ وأنا أعبر الطريق لأوقفه، ولما وصلت منتصفه حيث ترقد البائسة كصاحبها مهانة نازعتني الظنون والهواجس، وجدتني على المحك، كيف سأمسك هذا الشيء بيدي وكأنه قد وقع فى بالوعة واستقر فيها تمامًا ثم أخرج منها وسوي بالأرض؟!.

استعذت بالله من شر نفسي الأمارة بالسوء، حتمًا هى لابد ثقيلة جدًا.

نظرتُ فى عينيه وجدت نظرة الرجاء والثقة فى الله تسكنهما، تهللَ وجهه غير مصدق اهتمامي به، دفعتها بقدمي بأقصى قوة ممكنة، فجأة توقفت السيارات، وجدت عشرات العيون تنظر إلينا، تتفحصنا، قد فهمتْ وتفهّمتْ..

انحنيتُ على الأرض وأنا أحاول جرها حتى أوصــلتها إليه، تجرأ وتقدم منى متلهّفًا لاســترداد كنزه وتقديم شــكره وامتنانه بكل لياقة وذوق كأفضــل ما يكون ابن أصول نال حظًا عاليًا من التعليم.

التفتُ لأعود أدراجي وأعبرُ نهر الطريق لأصــل إلى الرصــيف الآخر، وجدتُ سائقي سيارات الـ صف الأول ومن يليهم وبعض المارة قد دفعهم الفـ ضول للتوقف ومتابعة الأمر وهم يحيونني مبتسمين، يشيرون بإصبع الإبهام علامة الاستحسان، وقد أشــار إلى بكلتا يديه وهو يهز رأســه ســعيدًا راضــيًا، وهى قابعة تحت قدميه فى ســلام ويهتف معهم البطانية!!.. البطانية!!..

جوع

اشـتُهِرتْ بينهم بحبها للخير ومسـاعدة الآخرين، تصـنع لهذه طعامًا أشـهى من أفخر المحلات، يليق بضـيوفها الكبار فى بيتها لاعتذار أكبر طاهٍ عن العمل فى آخر لحظة، تقف مع هذه فى تجهيز ابنتها العروس وعمل ديكورات شـقتها والإ شراف على حفل الزفاف ليخرج فى أبهى صورة يتحاكون به طويلًا، تذاكر لأولاد هذه وبنات تلك لاجتياز الاختبار النهائى لنيل المنحة الأجنبية، كما تذاكر لأبناء سـاعى البك كى يلتحقوا بالجامعة..

لا يكف هاتفها عن الرن طوال اليوم، هذا يريد، هذه تطلب، هؤلاء يتعشـمون فى كرمها وذوقها، وهى راضية القلب مرهقة الجسم، لايفارقها الصداع الذى صار ملازمًا لها فلا ينشغل عنها أبدًا.

تخجل من سـؤال أحدهم أو إحداهن تحديد مقابل ماتقدمه رغم أنهم يدفعون لغيرها بسخاء .

آخر حفل أقاموه لتولي زوج إحداهن منصبًا رفيعًا، طالما سعى إليه بفضل إشرافها على الدعوات والعزومات والحفلات التى يـ شهد لها الجميع بإتقانها لها، وأنها أ ستاذة هذا الفن .

شك مـسمارٌ طرحتها، قطعها قطعًا بـسيطًا لكنه وا ضح بـسبب انتباهها فى الوقت قبل المناسب بقليل وقد أصابها الإرهاق، ولكنها لم تزل متماسكة حتى لا تحرج أحدًا بانصـرافها، توارت فى أقرب مكان وخلعتها، أعادت لفها بحيث لا يظهر القطع وهى محتارة كيف ستحصل على أخرى وهى آخر شهر!.

قبّلوها و شكروها على تعبها معهم جميعًا طوال هذه الفترة ..

تركتهم باسـمة مرفوعة الرأس تحمد الله الذى قدّرها على فعل الخيرات دون انتظار مقابل لن يدفعوه، وكأن مثلها لا يليق بها هذا أبدًا، وهم لا يرضـون جرح كرامتها!.

وصـــلت بيتها منهكة، تذكرت أمرًا؛ إنها جائعة منذ يومين لم تذق إلا أقل القليل، قلّبت ثلاجتها وحقيبتها ودولابها لم تجد شيئًا !.

فكرت كثيرًا أن تطلب مقابل خدماتها مثلما يفعل الكثيرون ومثلما يعطون هم الكثيرين، لم يخطر فى بالها أبدًا طلب سلفة من أحدهم أو إحداهن .

نظرت فى المرآة، آلمها شـــحوبها وإرهاقها وزاد عليهما جوعها، دققت النظر، هزّت كتفيها باستهانة، دخلت فراشها وحيدة، شدت الغطاء ولم تنس دعاءها المفضل (يا رب قدرني على مقابلتك بعمل شىء جميل تحبه).

فى الصـــباح حاولوا إيقاظها لتكمل مســيرة عطائها، لكن الله كان أرحم بها من جشــعهم وطمعهم فيها جميعًا؛ فقد تعشــت وتزينت وزال عنها الإرهاق والشــحوب ولبست أجمل ما تكون الثياب فى السماء ....

أنا متغيب اليوم

أيقظتُ الفرَّاش وأسرته، يبدو أنهم قد راحتْ عليهم نومة فتأخروا عن فتح البوابة واستقبال المعلمين والتلاميذ، ربنا يجعل كلامنا خفيف على (اللى ما يتسموش)!.

ساعدتُ المدير فى فتح حجرته وإعداد الدفاتر المطلوبة وعلى رأسها دفتر الزيارات، ولاشك أننى لم أغفل دفتر (٦٨) الشهير الذى التقطه أستاذ فوزي بيديه وأسنانه، فهو يحلم به فى نومه ويقظته؛ فيوقع فيه أول واحد والمدير آخر واحد.

ما أن توافد التلاميذ حتى رأيته يدخل متسحبًا بهدوء ومعه مساعديه الثلاثة ليتفقدوا المدرسة دون الاهتمام بالمرور على المدير أو مقابلة أيّ من الزملاء، يدونون كل ما يرونه فى مفكراتهم الخاصة تبعًا لأهوائهم، رغم أن الوقت ما زال مفتوحًا أمام الجميع.

قعد منفوخًا كالديك الرومى فى مكتب المدير، أمر بالدفتر ليتم التوقيع أمامه وهو يرمق من يوقعون بنظرات أقل ما فيها تعالى ممزوج بالتجاهل والا ستهزاء الذى لا مبرر له.

حاولت التخفيف بأداء واجب الضيافة، التعاون معه فيما يريد والإجابة عن أسئلته السمجة، أتأمل لغة جسده التى تشى بقصيدة لاذعة الهجاء، يزجر وينظر لا يستثنى صغيرًا ولا كبيرًا، أغلق دفتر التوقيع قبل الميعاد بعشر دقائق بحجة أن هذا هو الصواب – كيف ؟! – ومن دون ذلك يقع عليه الجزاء ويعرض للمساءلة القانونية التى لن تنصفه أبدًا!.

لم أصدق عينىّ عندما وجدته غيب من لم يوقع فى هذا الدفتر وأنا منهم، ورفض توقيع من تأخر – وهو لم يتأخر – بحجة الحفاظ على سير العمل، كتب تقريرًا يناسب سحنته القميئة ذات العينين الشرستين فى ضحكتهما الصفراء!، وقع عليه الذيول الثلاثة الذين معه؟، أبعد كل هذا؟!.

فكان لابد مما ليس منه مفر.

أغلق علينا باب أنا وهو وعم محمد الفراش الذى لا يرضـــى ظلمًا لأحد، لم نتركه إلا بعد أن كسرنا أنفه للأبد بعلقة ساخنة.

بعدما حاول مداواة جراحه وخزيه صـــال وجال وصـــمم على حبس الفاعل والكيد له، ووقفه عن العمل الذى لا شـــك أنه أنا وعم محمد الفراش، أشـــهد من معه على ذلك؛ فلم ينل إلا نظرات التجاهل والا ستهزاء والـ شماتة، ألم يســبق لهم جميًعا بأن شهدوا أننا متغيبان اليوم عن العمل ونستحق العقاب؟!.

أنت تستحق

قلبي يخفق بشـــدة، نظراته لا تريحني، يتهددني فى كل لفتة، يقترب منى وينظر لى من طرف خفيّ وكأنه يقول:

- سأوريك، انتظر، سنتك سوداء إن شاء الله، لا نجاح إلا بإرادتى، أريني كيف ستنجح إن لم يكن برضاى أنا ؟!..

فى غفلة منى سقطت كفه على ظهري بقوة جعلت ضلوعي تكاد تتكسر..

- ها .. ماذا كنتُ أقول؟ ..أجبْ عن هذا السؤال .

توترتُ، و شعرت كأن الدنيا أظلمت، وقبل أن أفتح فمى انطلقت عصاه على كل جزء من جســمى حتى تورمت تمامًا !.. وأنا أصــرخ، اتركني، اتركني.. اتركني.. أنا آسـف.. لن أكررها ثانيةً.. وأنا لا أعرف علام أتأســف، وما الذى لن أكرره ثانيةً!، كان همي الوحيد النجاة من تحت يدي الغول ومن نظراته التى يرشقني بها .

يقول دائمًا أنني مثل ابنه وفى مثل عمره تمامًا، ولكنه قد أحسن تربيته .

أمّا نظراتى أنا فتشبه القطط التى تخفى شيئًا ما، وما حيلتي إن كان ذلك صحيحًا أم لا ؟!، الدرس آخذه عنده حتى يكف عنى ، ولكن لا شــىء يرضـــيه، فكيف أفهم ممن لا يحبني وأرهبه؟!..

كدت أخرج عن شعوري؛ وأسبه وأشتمه، آخذ هذه العصا اللعينة، لكنني جبان، أعلم ما ينتظرنى منه ومن أبي إن فعلت أنا شيئًا، لا أملك أَنْ أمسك العصا كلما أتيح ذلك كى أحمي نفسى ، إلى أن نفّس غله تقريبًا وهدأت نفسه قليلًا، أخذ يضحك ويمزح مع باقى الفصل الذى كادت أنفا سهم تنقطع من توجس الخيفة – فلا أحد يعلم نواياه – حتى أشعر أننى منبوذ أحتاج مزيدًا من التربية والشدة.

وضعت رأسى على الدرج وأجهشت بالبكاء ..

- والله لأقول لأبي .

وكأننى قد أعطيته خيطًا هامًا ..

- أتتهدني وتتوعدني يا ولد؟!. ألن تكف عن قلة الأدب تلك وردك الدائم على وكذبك دون حياء؟!. ألا تكفي بلادتك حتى تزيدها استهتارًا وبجاحةً ؟!..

آه، بالأمس وجدتك تمشي مع سيد بوكشة.

- لا والله هو جاري فقط .

طلب أبي بالمحمول كي يأتي ويرى ابنه الذى يتعدى على أســتاذه ويخطئ فى حقه ويتهدده !، أعطاني أبي على الطرف الآخر لأتلقى ما يتوعدني به ..

تمنيتُ لو تأتى أبلة سلمى الآن من تحت الأرض وتنقذني منه، أو أقف أمام جميع زملائي وأبي وأمي وأقول له أنت ..

خبطة شديدة على ظهري.. رفعتُ رأسي .. على وجهه ابتسامة صفراء..

- ها.. ماذا كنت أقول؟، أجب عن هذا السؤال، أنت تستحق...

لايحسن السكوت عليه

- ها يا أولاد .. بدأنا بكلمة (اسم) فماذا نعربها يا شطار ؟
- فاعل يا أبلة.
- مفعول ..
- مفعول ماذا ؟
- مفعول وكفى .
- مضاف؟
- ... ...
- .. أقول للمرة الألف.. إذا بدأنا الجملة باسم يعرب مبتدأ .

(وليد تلميذ)؛ فماذا نعرب (وليد)؟.

يُطرق الباب.

- هل تريديننا يا أبلة سلمى؟. أو تريدين أى شىء؟
- شكرا يا حبايبي.

ينصرفون ويغلقون الباب .

ماذا كنا نقول ؟

- فاعل يا أبلة.
- مفعول ؟

وأعيد الكرة ألف مرة إلى أن يجود على بعضهم أو أحدهم بالإجابة الصحيحة، ربما صدفة، أو ذكاء وقتي؛ فأ ستعيذ بالله من الـ شيطان الرجيم، وظهري يـ شكو قـ سوة الوقوف إلى أن يفهموا المبتدأ الغشاش الذى أو صلهم لما هم فيه؛ خبر لكن لا يحسن السكوت عليه !

- والله يا أبلة نحن نفهم ما تقولين، لكننا لانعرف كيف نجيب عن أى سؤال! .
- الأسئلة تحتاج إلى قراءة، ونحن نعرف القراءة ولكن ضعيف يعني ..
- والله نقرأ أحيانًا.. لكن ما نفهمه.. قليلًا جدًا ..

يُطْرقُ الباب، وما كاد ينغلق بضع دقائق حتى طُرِقَ أخرى!.

- تحت أمرك يا أبلة سلمى .
- لقد أخبرنا أستاذ حسن أنك تطلبيننا.
- نعم؟!، لكنى لا أريد شيئا - كثر الله خيركم يا أولاد - فأنا مازلت فى حصتى فكيف أحتاجكم أو أطلبكم؟! انصرفوا فى سلام من فضلكم .

استمر الحال كما هو عليه حتى ضاق صدري ولكننى كنت مزنوقة فى آخر كلمتين فى الدرس يجب أن أنتهى منهما، تحليت بالصبر حتى دق الجرس وانصرف الأولاد ولم يعد هناك أى تلميذ بالمدرسة.

ضوضاء .. تلاميذ الفصل الآخر ينادون باسمى !.

- نحن فى انتظارك يا أبلة سلمى ماذا تريدين منا؟ .
- كيف ستتركينا يا أبلة ؟ .

كنت قد نزلت أول السلم فى طريقى للتوقيع بالانصراف؛ فتعجبت..

- أين كنتم ؟! .

أخيرًا فهمت؛ صحت بشدة وأنا فى قمة الضيق:

- ليس لى شأن بكم لقد كانت لديكم حصة رياضيات!.
- لا يا أبلة سلمى، لقد أخبرنا الأستاذ بأنك طلبت حصته؛ فلم يحرجكِ وأعطاها لك وذهب ليصلي.

- لا ، لقد شاهدناه يشرب الشاي عند ابنة البواب ويحكي مع بعض أولياء الأمور..

لم يطاوعني قلبي لأتركهم وأنصرف؛ جمعتهم بنظام وأوصلتهم إلى الباب.

فى الصباح الباكر ..

لجنة التحقيق .. الجو ملبد بالغيوم ..

- الدنيا مقلوبة .. لماذا ؟!..

- شكوى للوزير !..

- أبلة سلمى .. من؟!، أنا؟! .

- لقد حبستِ التلاميذ بعد انتهاء اليوم الدراسي.

أولياء الأمور منتظرون أمام باب المدرسة على أحر من الجمر!.

- هاهى قد جاءت!.. ما لها ؟!

- من تعتقد نفسها ؟!..

- لابد أن تؤدب.. بنت ال .. نعم بنت ال..

لم أجد معي أحدًا !.. حتى أولادي ـ تلاميذى ـــ خشوا التفوه بكلمة لشدة إرهابه لهم وعلاقاته بأهلهم؛ فلم ينطقوا بحرف !..

الحصة الأولى..

ها يا أولاد قلنا أمس: فى البدء كانت كلمة تعرب مبتدأ، أما الخبر فاليوم لا يحسن السكوت عليه .

وأنت ؟!..

- وأنا ما الذى يجبرني أن أمتحن عند هذا الأستاذ ؟! .

- الحصة الفائتة طلب منا نحضر معنا عشرة جنيهات زيادة نظير الامتحان عنده فى السنتر!.

- حار ونار في جثته .

- لن نذهب ، سنقول له المرة القادمة: حدثت ظروف فى البيت، ولم نستطع الحضور .

- كلنا يا فالحة؟!، سيقول: أننا اتفقنا على هذا .

- بسيطة نلم من بعضنا و واحدة منا أو اثنتين تمتحنا وأمرنا لله، يسلكا أمورهما جيدًا ويحصلا على أعلى الدرجات، وأمّا أحدهم من سكرتارية الأستاذ أو التليفونست يتكلموا فى البيت ليخبروهم بمستواهما الرائع سيدفعا العشرين جنيهًا التى عليهما وفوقهما مكافأة لزوم الآيس كريم .

- أروبة من يومك يا لمياء .

- آه والله !.

وارتفعت ضحكاتهن ..

– اخفضي صوتكِ يا بنت أنت وهي، هو قادم مع لميس وأمل، يبدو أنهما سينضمان إلى المجموعة الكبيرة وطبعًا معهما ثلتهما .

– سيلم الفلوس بالكوم ، من حقه !، هاها..

– وهل هو يشبع أبدًا؟! ،يقولون أنه...

ششششش

- صباح الفل يا مستر.

- كيف حالكَ؟.

- هات الامتحان سهل وحياة أولادك .

حياهن بابتسامة واسعة رافعًا يديه مشيرًا لهن كنجم، وقد لفهن بعطره الساحر..

– لا تخفن يا جميلاتي، كله من الملزمة.

لمّا ابتعد عنهن منتشيًا بنفسه وزيادة الغلة..

شيعنه بنظرات الانبهار والحسد والسخرية..

– يا بن اللذين !..

ضربتْ مها يديها كف بكف..

- منافقاااات .

- وأنت؟!.............

وتوالى الضجيج

انتظروا كالمعتاد حتى الليل وقت انقطاع الكهرباء، حملوها على كرسي، غطوا نصفها الأسفل ببطانية، أجلسوها بين اثنين منهم فى السيارة .

بعد الفجر عادوا محملين بأكياس الفاكهة وعلب الحلوى، رفعوا أصوات التليفزيون والهواتف، تعالت أصوات الموسيقى والضجيج .

امتلأت الشقة بأولادها ممن لم نرهم منذ سنوات ومعهم أبناء وبنات ، أطفال وشباب ..

المشاجرات لا تنتهي بينهم، خبط ورقع الأولاد فى الشارع وعلى السلالم يتزايد ليلًا ونهارًا، موتور المياه يجأر، جدران الشقة اشتكت، باقي الجيران صامتون، عجيبة !.

بلاط الشقة انخلع أكثره وخرّ الماء علينا – نحن أصحاب البيت– كالسيل ولا إصلاح ولا اعتذار ولا مشاركة ، تحملنا كل شيء وعلى المتضرر اللجوء إلى القضاء!.

وأى قضاء هذا الذى يفكر فى مثلنا ؟!.

وتوالى السيناريو ..

سعاة البريد ضجوا بالشكوى لكثرة رسائل من لا نعرف على ذات عنواننا، وكأن الزمن قد عاد بنا عقود حيث لا محمول ولا انترنت، الهواتف المنزلية الجديدة فى كل شقة متعددة لأسماء لانعرفها أو ربما لا نذكرها.

فتحت الباب فجأةً لمّا سمعت أصوات مبهمة متخافتة أمام باب شقتنا ..

وجدت الكرسي و ... أسرعت لأساعدهم وأسأل :

- ألف سلامة لطنط الحاجة، شهقت لما وجدت وجهها في صفرة الموت..

- ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [1].

- لا لا هذا فأل سيء جدًا، هي تعبانة فقط، سنذهب بها إلى الطبيب .

أصــبحنا وقد وجدنا آخرين لا نعرفهم كمســتأجرين قدماء لكل الشــقق في حينا الراقي بما لا يزيد عن خمسة جنيهات !.

وتوالى الضجيج.............

---

(١) البقرة:١٥٦.

حياة

لذت به ولاذ بي، ليس لنا إلا طريق واحد، القطارات تأتي وتروح وليس لنا إليها سـبيل، ونحن بين حر وزمهرير، هرعنا إلى أحدها، الزحام فى كل مكان، انتشـلني أحدهم، وها أنا قد وضـعت إحدى قدمي، فرفعني حبيبي وقد صـرت بمأمن بعد أن استقرت الاثنتان، وظلت إحدى قدميه فى الهواء وإحدى يديه تحوطني فى أمان .

الطريق طويل، ولكن الله كريم، فلمّا انفرجت فرجة والأخرى صـرنا متجاورين على مقعد واحد أهنأ بدفئه، وينعم بحنينى..

و (هو) .. نظراته علينا، لم أعط له اهتمامًا، وبقى حبيبي جواري وكأنه لم ير أحدًا !.

فجأة ، دفعني لا أدري إن كان من الباب أم من الشـباك، ظللت أنادي عليه، أحاول أن أجده وقد غاب فى الزحام رغم أننى لم أجد مخلوقًا على الرصـيف!، قفزت خلفه علنى ألحقه، أيتركنى وليفي أنيسـي، دنياي حبيبي؟!، مهما قفز وغاب فسـيظل يسري فى شراييني .

درتُ فى طريق درنا فيه من قبل لنصعد مرتفعًا كعنان السماء، مشيتُ أرضًا قفرة مشينا فيها من قبل لا زرع فيها ولا حياة، علني أجده لنكمل الطريق معًا؛ فلم أجده!..

و(هو) .. صاحب النظرات التى لم تتركنا من قبل يحثني أن أعود .

- عودي يا حياة، عودى .

أحاطني بنظراته واهتمامه؛ لم أهتم، تذكرت ما كان بيننا من رفقة طريق فقط .

مكاتب الشـرطة كلها، جميع الناس الذين نعرفهم والذين لا نعرفهم تعاطفوا معى، حاولوا مساعدتى، لكن اللص قد نجا بجريمته .

فقدتُه وفقدتُ الطريق، حتى صاحب النظرة والاهتمام تركني، تمتع بروح حبيبي وطار بها حيث ندري ولا ندري!......

ستار

قاومتُ فضـولي كثيرًا؛ لمعرفة صـاحب الصـوت الرخيم الخاشـع في الصـلاة ، أعجبتني دروسُـه القصـيرة في الفاصـلة بين ركعات التراويح، أشـعرُ كأنه يكلمني أنا، يلقي عليَّ مواعظه، يشـرح لي أشـياء ربما تكون بديهية، ولكن لطول البعد والانشـغال بالدنيا لم أفهمها أو حتى أقف عندها!.

ا ستغفرت ربي كثيرًا، وأنا أحاول معرفة تفا صيل هذا المسجد العجيب في راحته الذي لم أدخله إلا هذا الشهر الكريم رغم قربه من منزلنا .

أزحت الستار قليلًا في المنطقة التي تفصل بين ستارين بمشابك الغسيل بطريقة بدائية، لكن فعَّالة جدًّا تؤدي الغرض.، هاها!..

لم أتوقَّع أن تلتقي عينانا عندما نظرت من خلال الثقب الذي صنعته بيدي – وكأنه عفوًا – بعد تغييري لموضع صلاتي، نظرة لا تنسى!.

أنا بعيوني الوسنانة شديدة السواد، وحاجبيَّ الثقيلتين السوداوين في غير تهذيب يضفي عليَّ براءةً لا تقاوم، مع بياض بشـرتي المشـرب بحمرة، لم أحترس لشـدة تفجُّرها مجرد شـعوري بالخجل، فأرخى عينيه بسـرعة وقد أدركت تلعثمه الخفيف وحركة يديه، وكأنه يبعد عنه شيطانًا – لذيذًا – سامحني الله.

تَعَثَّرَتْ وهي تقوم منحنيةً متساندةً على مساند الكرا سي؛ لتصلَ إلى عكازها، سارعتُ فناولتُها إيَّاه، وقدَّمتُ لها ذراعي لتستندَ إليه حتى باب المسجد.

– ناوليني كوبَ ماء يا بنتي، فقد جفَّ ريقي من الصـيام والسـكر، عافاك الله وحرسك لشبابك.

– أين حذائي؟ آه يا ظهري...

تسلمي يا بنتي، خذي هذه الزجاجة الفارغة، واملئيها عرقسوس.

نظرت لها متعجبةً...

خلفَ الستارِ، في المكان الفا صل بين الرجال والنساء ستجدين (كولمان) للعرقسوس وآخر للتمر وغيرهما، لا ترددي يا بنتي، يكفيك ربنا شر المرض.

وأزاحت لي الستار لأخرج...

و جدت طفلين جميلين يحملان أكوا ًبا ويوزِّ عا نها على المصــلين، أشـــار إليَّ أحدهما...

- عرقسوس؟ أم قمر الدين؟ أم كركديه؟.

- عرقسوس.

- الأخير على الشمال.

ملأتُ لها الزجاجة، وأنا أتعجبُ لجرأتي في تخطِّي عتبةِ النســاء، وســماعي كلامَ هذه العجوز، حمدت الله لقدرتي على خدمتها، وأنا لا أ ستطيع أن أنازع نفسي شغفًا من التطلع إلى المسجد ومعرفة أبعاده، رغم خفضي نظري أغلب الوقت؛ حتى لا يقع قلبي في الرياء والفتنة!.

لم أتنبه إلى الحقيبة المركو نة تحت الكرســي، التي أمســكت بها وهي تتلفَّت حولها...

والله هذه الحقيبة ثقيلة، ذهب الشبابُ يومَ كنت أحمل أضعافها دون أن أتأثَّر...

تقدَّمَتْ مُصلِّيةٌ شابةٌ!

- عَنِّكْ أَنْتِ يا حاجَّةْ.

وسارت معنا...

- أليس لك أولاد؟

- ليس لهم قيمة، الله يصلح حالهم، يتركونني وحيدةً ولا يسألون عنِّي.

ربنا يهدينا ويهديهم، كلنا أولادك.

تنبهتُ إلى من التفتَ إلى صوتي، فخفضَ بصره حياءً وأسرع.

ابتسمتُ في نفسي، وقد تأكَّدْتُ يومًا بعد يوم أنه قد عرفني ويمنع نفسه.

التفتُ إلى زميلتي، فابتسمتْ.

- هو شيخنا، شاب على خلق - ما شاء الله - أبوه رحمه الله شيخٌ جليلٌ، كان صديقًا لأبي، والطفلان الرقيقان اللذان يسقيان الناس ويوزِّعان الحلوى والعصائر هما ابناه.

رغم أنه يمكنه مساعدة أكثر شباب المسجد وشاباته، فإنني لا أدري لماذا تعطَّل تنفيذُ الأمر القرآني؛ ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [1] ؟!.

ابتسمنا ونحن نتهرَّب من هذه العجوز، وقد طلبت منا صنع صينية كنافة في بيتها، رغم تأخُّر الوقت، واكتشافنا أن لديها بنات يزُرْنَها، وحفيدين مراهقين يعيشان معها.

في اليوم التالي عند اتخاذي المكانَ ذا ته، وجدت الستارين قد خيطا معًا في الموضع الذي أنظر منه، حمدت الله واستغفرته وأنا أصارع وحشًا كاد يفتك بي.

---

(١) سورة: النور: ٣٢.

نجاة

العيون مترقبة متحفزة، تمسح المكان كله فى سرعة وخوف وتعوّد لتركز على البوابة، حركات الأيدي المتوترة، تتزامن مع الألسنة .. استرها يا رب، خبطة على الفخذ، تجاوبها أخرى بضغطة على الصدر، السبابة على الشفتين والإبهام أسفل الذقن .

صِبْيَةٌ فى عمر الزهور، ملامحهم البريئة شوهتها ملابسهم الزرية، البنطلون وسطه الساقط يظهر من العورة أكثر مما يخفي، خربشات الوجه، الذراعان الموشومان اللذان يحركهما كل منهما وكأنه بلطجى يتعافى، يتظاهر بفتونة يحاول استنفارها، الشعر دبابيس ناتئة أو محلوق الأجناب المرسوم عليها علامات بالموسى ومقدمته أجمة تستغيث، بألوانها المتباينة.

نداءات .. بذاءات .. شتائم وسباب الجنس برىء منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

- مالهم اتأخروا ليه يا جدع ؟!.
- أهم .. أهم .. حانهيص ..هاها..

فتحت المغارة؛ بنات فى عمر الزهور خارجات من امتحان الشهادة الإعدادية بمدرستهن

بعضهن لا شىء على بالهن ضاحكات مستبشرات، يتناقشن فى أسئلة الامتحان ويراجعنها بصوت عالٍ، يرتدين ملابس المدرسة أو ما تبقى منها؛ مجرد التى شيرت المقمط بغرز نباتة غير دقيقة حتى صار كالبدي مع بنطلون استرتش، يظهر عظام و عروق النحيفة ومواطن تكتل دهون البدينة، أمّا الرشيقة فتمشى تتبختر، كأنها ترقص منتشية .

بعضهن يمزحن ويتضاحكن بأصوات أرق من تغريد الطيور، وأحيانًا أعلى من راقصات شارع الهرم، لا يميزن بين هذا وذاك فى أغلب الأحيان، المهم لديهن أنهن قد انتهين من امتحان مادة لن يذاكرنها بعد اليوم، يجرين خلف بعضهن غير عابئات بالزحام، أكياس الحلوى الملونة يأكلنها بسعادة ولا يدرين ما يخبأ لهن داخلها من أضرار !.

و.. و..

هرولت الأمهات نحو المغارة كل منهن عيناها وسط رأسها تبحث عن ابنتها .

جرت البنات نحو أمهاتهن فى المكان الذى اتفقت عليه كل منهما مع الأخرى، لم تكن أى أم فى المكان المتفق عليه لمزاحمة الأولاد الذين ما عادوا أولادًا أبرياء لهن.

أسرعوا نحو بوابة مدرسة البنات، حلقوا حولهن فى رقصات همجية وألفاظ تصم الآذان، تقتل الحياء لا تخد شه، ضيقوا عليهن طريق الخروج عبرالممر الضيق للوصول للشارع الأشد ضيقًا المزدحم بالزبالة، عربات الآيس كريم وحمص الشام، وزينة البنات اثنين ونصف، كل ما يخطر و مالا يخطر على بال من أنواع الباعة الجائلين، فرش باعة الخضر والفاكهة والأسماك، التكاتك التى لا يهم سائقوها من يخبطون ولا من يدوسون و...

لم يفلح الباعة فى صد هجوم الأولاد، لم يغن الأمهات عن أنفسهن شيئًا أن يحتك بهن الأولاد وهن مثل أمهاتهم ، ولا أن تأخذ كل أم ابنتها تحت جناحها وتذهب ..

شققت لنفسى فرجة بين الأجساد المتلاطمة وأنا أفرد ذراعىّ (جدعنة) وتهوّرًا لآخذ معى من تيسر من البنات الوحيدات لأعبر بهن هذه المهزلة، لم تغفل عينى أحدهم لأثر براءة فى عينيه، يقلد الآخرين فى بذاءاتهم وهمجيتهم؛ فأمسكتُ بيديه وضممتُه لجناحي قليلًا وأنا أهمس فى أذنه:

- عيب يا حبيبى أنت رجل محترم لا يليق بك أن تكون مثل هؤلاء، نظرت إليهم بقرف ليشعر أنه أفضل منهم، مختلف عنهم فى أخلاقه، فيلين معي، التف حوله بعض أصحابه وقد دفعهم الفضول لمعرفة ما يجري وأنا أسرُّ فى أذنه شيئًا وأربت على ظهره، مشوا جواري وقد نسوا ما كانوا فيه بعد أن صرفت من كن معى من البنات أمام أقرب حارة.

لا أفتح لغريب

طرقات الباب لم أتأكد منها إلا بعد أن أغلقت التليفزيون وتسمّعت..

- من بالباب ؟
- ....

سمعت صوتًا لم أتبينه إلا بصعوبة .

- ماذا تريدين ؟
- آه.. أتشترين حاجات؟.

أعادت السؤال؛ فأجبت بحدة أشد .

- لا، شكرًا، امش من هنا ولا تأت ثانيةً.

سمعت دقات الجرس على الباب المجاور، نهرتها بشدة وقد خفت أن تفتح لها إحدى الجارات، ويحدث ما نسمع عنه ونخشاه.

لكنتها غريبة، صينية على الأرجح، صوتها الضعيف به شىء، انتابني شعور غريب لرؤيتها ومعرفة من تكون؟ ليس لدىّ عين سحرية بالباب .

انتظرت قليلًا حتى ابتعدت طرقات قدميها، فتحت الباب وأنا ألوم نفسي على تهوري هذا، ربما كان معها شخص ما، نظرت لأسفل دون أن تراني.

فتاة فى الثلاثين من عمرها ، يبدو عليها شدة الإجهاد ،تلفتت حولها، اختبأت بسرعة بالقرب من الحائط، أخرجت عدة مناديل من أحد الجيوب الخارجية لحقيبتها الضخمة وطوتها معًا عدة مرات، أزاحت حزام سروالها قليلا وأسقطت يدها ووضعتها!.. مسحت دموعها بظهر يدها وتحاملت على نفسها وهى ترفع الحقيبة الضخمة وتسندها على سور السلم، أحكمتها على ظهرها ثم رفعت الأخرى على كتفها.

شــعرت بظلمي لها وقد شــككت فيها، لم أجرؤ على النداء عليها إلا بعد أن تسنّدت على السور، وأخذت في النزول حتى لا تحرج، وقد كشفت سرها، وأنا أتساءل هل أناديها لتصعد وأتظاهر بالشراء منها ثم أوفر لها ما تحتاجه أم ماذا أفعل ؟!.

ناديت عليها .

- أنت يا من تبيعين الحاجات، لا تتضــايقي مني، لا تغضــبي، لم يكن قصــدي..، سامحيني.

وأنا لا أعلم أســمعتني أم لا؟، وهل تعرف من اللغة العربية ما يجعلها تفهم ما أقوله أم لا؟!

دخلتُ وأغلقتُ الباب، اكتشفتُ أن صوتي قد راح، ومازلتُ لا أفتح لغريب .

دينامو

لفتَ نظري امرأة جمالها هادئ؛ قمحية اللون عســلية العينين خدّاها ورديان عباءتها السـوداء نظيفة ، قاعدة عند مطلع الكوبرى فى طريقي إلى عملي، تبيع المناديل، رأيتها أمس تضــع أمامها كرتونة مقلوبة، فوقها بعض أكياس الحلوى التى زادت يومًا بعد يوم وتنوعت ، جوارها طفل صغير يلهو يشبهها كثيرًا.

غيرتْ نشاطها عدة مرات ..

سلة بها ليمون وقليل من الخضرة ، بعض الكتب والمجلات القديمة، ثم أتت بموقد كيرو سين صغير وطا سة، وأخذت تصنع بعض الحلوى بيديها، وتنادي عليها، البعض يقترب منها ليلقي فى يدها قطعة نقود وينصرف أو يأخذ قليلًا مما تقدمه .

اليوم وجدتُّها عند مطلع الكوبرى الأكثر رواجًا، قاعدة على حجر وأمامها ذات الموقد، وقد حوطته بمشمع نظيف شفاف وقراطيس بيضاء نظيفة، تضع بها ما تصنعه من حلوى رائحتها طيبة، تغطيها بمفرش نظيف وتقدمها لمن يطلب، ومعها بعض المناديل الورقية المطوية بعناية، وقد غطت ما فوقها بملاءة ناصــعة البياض، والناس يشترون منها خا صةً الصغار، يقفون أمامها لينتقوا ما يريدون من حلوى، وينادونها يا حاجة، يضعون فى يدها مزيدًا من النقود وهى تبتسم وتلاغيهم كأبنائها .

زادت متابعتي لها يومًا بعد يوم ، صــار تلصــصــي الذى كنت أخفيه ابتســامة تبادلنى إياها مع نظرة احترام حتى صــرت زبونًا أوصــيها بما يريد الأولاد وأمهم من فـطـيـر مشــلـتـت وعـيـش بـيـتـى تـأتـى بهـا مـن دارهـا وتـغـلـفـهـا جيدًا وتحتفظ بها لحين عودتي من العمل، وتعطيني فوقها قليلًا من الحلوى اللذيذة .

- تفضل يا بك للأولاد والهانم وادعُ لي .

أبتســـمُ فى نفســى، هذه المرأة الذكية المثابرة تحولتْ من بيع المناديل التى تعتبرها تســولًا مقنعًا إلى طاهية وتاجرة ماهرة، ربما تصــبح يومًا وقد اتخذت محلًا ولديها من يشتغلون عندها !.

أو صيها بمزيد من الحلوى والمخبوزات لزوم زملاء ابنى الذين سيحتفلون الليلة بنجاحهم وحصــول مشــروعهم للتخرج على المركز الأول، خاصــةً مها دينامو المجموعة التى أصــر ابنى أن يكون لها معاملةً خاصــةً، ويتمنى أن تعجبني أنا وأمه لنبارك حبهما وزواجهما.

(جمالها هادئ يجذب من ينظر إليها فى احترام ، كأنك تعرفها منذ زمن، قمحية اللون عســلية العينين، خدّاها ورديان، قوامها رشــيق، شــخصــيتها ناضــجة وادعة، صــرحت زوجتي أنها لن تجد أفضــل منها زوجة لابننا وصــممت أن تطلب أمها على الهاتف كي تدعوها لتشاركنا فرحتنا، وأرسلت السائق ليوصلها إلى بيتنا، بعد قليل أتت الهانم والدة آنسة مها ..... امرأة الحلوى ....).

أقاصيص
وومضات توقيعية



تعثّر القلم فى قصـة يكتبها، ملأه حبرًا، أتى بغيره عشـرات المرات، اسـتعان بحاسـبه وهاتفه ، حاول تسجيلها بصوته، تمثيلها ..

تظاهرت أدواته جميعًا فى ميادين كراسـاته، حارات ودهاليز حاسـبه وهاتفه، هتفوا بأعلى أصواتهم، أزاحوا نقاطه، زعزعوا علامات تعجبه واستفهامه، خلخلوا فصلاته، فتحوا خراطيم المياه على أحباره والنيران على أوراقه، مسحوا اسطواناته المدمجة كلها .

- لا قصة إلا روحك، عقلك، إحساسك، نبضات قلبك وخطرات بالك .

تحول دمه أحبارًا ، اعتكف و سكب نفسه أزهارًا وأنهارًا، جنات عدن وجحيم لا يطاق، أطلق مردته وجنه، ملائكته، شـخوصـه التى تسـكنه ويسـكنها ولا تعد ولا تحصـى، تدافعت أفكاره وتشـاغبت، تشـاجرت وتفاهمت، امتزجت بنبضـات قلبه فى موسيقى راقصة، ناعمة، صاخبة، فى سيمفونيات قدرية .

رفع عينيه وقد جفت أوراقه، انتشرت قصته ذرات تملأ الكون حبًّا وحنانًا، سخطًا وكرهًا، نورًا وظلامًا، بخلًا وعطاءً، زادًا للغريب والقريب والبعيد ..

أمطرت الدنيا بفوزه بنوبل نورًا وحياةً ..

لكنه قد ذاب وجدًا وقربًا وذهب مع الملائكة ؛ فقد أدى الرسالة .

***

طيف تجلّى

مثل قطعة الشكولاتة الكبيرة المصاغة برقة ودقة، تكاد تكون سائلة رقراقة، أو صلبة لامعة يضــوى لمعانها الذهبى مع فســيفســاء النجوم، فيروزية، حمراء مرجانية.. مذاقها فى لسانها، بهجتها فى عينيها أضفت عليها سعادة لحيظات .

انتشلتها أنامل الصغيرة .

- ألا يكفي هذا يا عمتو؟! .

ابتسمتْ وهى تحيط كتفيها بحنان .

- نعم يا حبيبتى، مجرد هواية قديمة للفرجة على بدائع المشغولات الذهبية .

شبتْ الصغيرة على أطراف أصابعها لتتفرج، شدتها برفق .

انصــرفتا وحيدتين وهى تهمس لنفســها: ذهب من كان ليجلب لى الدنيا كلها ليلقيها فى حجرى لو كان يملك، ومن لو ملك ملء الأرض ذهبًا لبخل علىّ بمجرد الفرجة.

ذهاب

***

تركتُها وهرولتُ إلى الشـــاب وقد وقع به الموتوســيكل، داس رجله والتوت الأخرى تحته، نظرة الألم والحيرة وهو يعافر كى يرفع نفسه أحنتني على ركبتي بسرعة كى أتمكن من رفع الموتوسيكل قليلًا.

رفعت إحدى ركبتيّ، تحاملت قليلًا، لم أصــدق نفســي وقد رفعت الموتوسـيكل بثقله هذا عن رجله رغم آلام ظهري المبرّحة! .

وجدتُ يديّ تستند إلى أحدهم هو يساعدني لأقف .

سحبتْنى من يدى ..

- ها.. ماذا عن الأشــعة التى طلبها الطبيب منك على ظهرك الذى تقولين أنه يوجعكِ ؟!....

تكذيب

***

للمرة الثالثة يسـكن هذه الشـقة أحدهم وتأتى المطافئ لمهاجمة نيران الشـقة والقضاء عليها .

أشاعوا فى المنطقة وجود عفاريت وجنى مسحور يسكنها .

ظلت الشـقة مهجورة شـهورًا، يخافها الناس، يسـتفيضـون فى نسـج الحكايا عن الجنيات والشياطين وتناقلها .

جاءها رجل يبدو عليه الصلاح لا يخاف غير الله، أقام فيها، لم يكف صوت تلاوة القرآن الكريم، امتنعت الحرائق عن الاندلاع، أحبوه وشكروه وصاروا يتبركون به .

توالت الانفجارات وا شتعال النيران فى الحى كله والأحياء المجاورة إلا هذه الشقة.

تلميذ نجيب لم تخب له قنبلة ولم يفسد له اشتعال

***

بقدرة قادر وجدتنى على كفوف الراحة، اعتقدت أنه خطيبي وسـقت دلالي قليلًا، قبل أن ألمّ الدور حتى لا يرانا أحد، رأيت خطيبى أمامى يصـرخ فىّ، أبي يسـبني، أخي وأختي الصغيران يتقافزان ويسخران منى وهو مزنزق لا يعرف كيف يخبئني ولا كيف ينشق البحر ويبلعه..

أخيرًا فهمتُ الكارثة التى وقعت فيها ، قر صتُه وعضضُته فى كتفه بقوة، لم أدر بعدها هل أنا الذى قفزت فى الماء أم هو الذى قذفني؟!؛ غير م صدقة، سأقع من طولي من الضـحك والغيظ، جميعهم طاروا وراءه سـابحين ليفتكوا به وقد زاغ منهم وسـط الزحمة، والناس مازالوا يضحكون ....

بلبطة

***

رغم دموعها التى انثالت شكوى من زوجها لمن تهاتفه إلا أن هذا لم يخف شراسةً وجبروت، ساعدها عليهما عطل جمال .

لمّا سلمتْ عليّ الحسناء الرقيقة فى خجلها الذى يكاد يكون انهزامًا اكتشفتُ أنها ابنتها .

نظرتْ إليّ بتشفٍّ وغيرةٍ ..

- ألا يكفي أنها تغطّي عليّ بجمالها ورقتها تلك ؟!.

رفضتُ أن أعطيها رقم هاتفي لتتعرّف عليّ أكثر وتتابع دروس ابنتها .

أشرتُ للحسناء من طرف خفيّ وأنا أضع رقم هاتفي خلسةً فى يدها :

- أنا معك وستجديننى إن شاء الله وقتما تحبين .

تغطية

كضــلفة دولاب ضــخمة أدخلُ حجرة المدير فى نهاية اجتماع ودّى ، كمية المساحيق الكبيرة متنوعة الألوان يعوق نعومتها شعر الذقن الخشن، بضع شعرات نافرات تبدو أسـفل إيشــارب صـغير أحاول إدخالها تحته بحركة عصـبية لا أدري هل أخفيها وقارًا مصطنعًا؟، أم أترك منه ما يدل على أنني أنثى؟!.

أتلفتُ يمنةً ويسرةً، أدّعي خجلًا هو ارتباك وتوتر يلازمني، أطلب عملًا.

يعتذرُ بخجل طبيعى ورغبة صادقة فى عدم إلحاقي بوظيفة فى مؤسسته، ينظرُ فى عيون من حوله، تعالتْ همهماتهم وقد جفلوا مني جميعًا.

- وهل هذا ما ينقصنى ؟!، أأخاف عليه- أم عليها- من الرجال؟!، أم النساء؟!. والله يخيف بلدًا. .

خنثى

***

خلعته وفرت ، الأولاد نسخة من أبيهم .

قيد أزلي

***

رأتهم عائدين بعد منتصــف الليل يرتدون الســواد وفى أيديهم أكياس الفاكهة والحلوى .

- بحثنا عن مدفن عند الجيران فلا ولد لها .

غرقتُ فى حيرتي وألمي، وأنا من سيدفننى ؟!.

لاأحد لي

حرمتْ طفلها قشرة بلحة .

أغدقتُ عليه نخلة حتى كبر .

قالت عنى نخلة مسمومة .

قطعنى بفأسه وعاد يتلمّس قشرة بلحة ليس لديها ما تجود به .

نخلة

***

لم يستطع قتلها بسكينه قتلها بجفائه

مات

عدالة

***

هرب إلى كل مايؤلمها علها تفهم يومًا أن لا عطاء.

درس

***

تمادى، احتسبت .

يبحث عن عينيها كلما تكلم ليتعالى عليها فتقتله بسكينتها

أشد ما يخافه أن يجد نفسه فى حضنها

أم بديلة

***

طرق جميع أبوابها بكل طريقة ممكنة وغير ممكنة

تحوّل إلى روح تعاني

تسرب داخلها

وجدها سرابًا .

أم جافية

***

عطاؤها يجعلنى هباءً ثم يقتلني

حرمتها ازدادت عطاءً

حرقت قلبها، صار نورًا يغشى بصري

ومازلتُ أعاني .

محروم

***

ألتمس دفئًا من جذوري الميتة

لا أرضى بدفء الفروع مهما كان كثيفًا.

يتيم

***

أكره أنفاسها، ثقتها، سكينتها، افعل ولا تفعل؛ قتلتها .

كلما نظرت فى المرآة وجدتها .

أنا هى

***

كلما أحاطني أحدهم أكتشفُ غرضه بصعوبة، صرتُ مطمعًا اتبع هذا وذاك؛ فتخلوا عنى .

بين السماء والأرض

***

ها، ما أجمل السفر!؛ فلوس وسياحة ومال وعلم وربما شقراء تقطر سكر.

لا، بل ما أجمل الاستقرار وتكوين بيت دافئ !.

لا، بل ما أجمل الرياضة !.
بل المال والسلطة والجاه، فى الطريق متسع !.
ولماذا لا يكون ابتغاء وجه الله الكريم فقط؟!.
لمّا لم يكمل طريق انسياقه وراء أحدهم، تركوه عند أول محطة .

وحيد

***

بعد الأم الحال يغم
بعد الأب كلاب السكك أقامت سد، وهب من هب
صاحب .. لعب .. انطلق ..كره كل قيد
لا أريد خالًا ولا عم؛ فما بالكم بالخالة والعمة
تحرر؛ فتاه
عاش أسيرًا فى قيود الوحدة

نتيجة

أبى صار الحاج
أمى صارت رتيبة
عمتي صارت رشا ورشيدة
خالتي صارت أم الهنا وفريدة
لم يصر لى أب ولا أم ولاعمة ولا خالة
صرتُ وحيدًا

بعد الألقاب

قيود الوحدة جعلت قلبه جبلًا من جليد
أمواج التمرد جعلته نيرانًا تلقى بشرر

انفجرت دموعه بركانًا ينفث وحدة وتمرد وأسى

وجد نفسه يبكي على صدرها

ذاب الجليد .. هدأت الأمواج ..خمدت النيران .. أضاء عقله .. سكنت نفسه ..برد قلبه

تحرر.. فعرف الطريق .

نضج

تغفلين على كرسيك دائمًا ، تميلين رأسك على صدرك أو تلقينها للوراء، تدّعين نومًا رغم تعليقك على أى حركة حولك .

أُصــابُ بالرعب ، أصــرخُ، أنتحبُ دون حس، ألمس إحدى أناملك، أشــعر أنكِ مازلتِ على قيد الحياة، أحمدُ الله وأنصرف ميتة .

غفوة

تحرّشــوا بها طفلةً فلم تفهم ولم تنطق، مازالت تعيش مرعوبة مطالبة باحترامهم ومشاركتهم أفراحهم وأحزانهم وكأن شيئًا لم يكن، وهل لمثلها أن يبوح أو يتمرد؟!.

ماذا وإلا ؟! ..

***

أخبرتَه بغير حقيقتنا فأساءتْ لنا وله؛ ففازتْ به .

أخبرتُه بغير حقيقتها إحسانًا لها وله؛ ففر منى إليها .

حقيقة

أجمل مافى الحياة أنها قصيرة

مات بعد فترة قصيرة

لحقت به وتلاقيا سعيدين

تلاق

***

عشقتْ الشهرة وقد بلغتْ الستين من عمرها ولم تبلغها !.

غرت ضعاف الموهبة بتجاعيد وجهها وعطفها عليهم – على نفسها- فانساقوا وراءها .

صنعوا لها ضجة غطت الأفاق فلم ينتبه لضعفها وضعفهم أحد؛ فاشتهروا !!.

نجوم في سماء الوهم

***

انكمش الجسد البائس بعد عنفوانه وتمرده .

ذبل الجمال الطاغى، توارى ما تبقى من شعيرات بيضاء وراء منديل فى حجم الكف، أحاط الرأس بأكملها .

أوصتنى:

- لا يدخل علىّ إلا من يحبنى لشخصى .

زاغت عيناها باحثةً، ارتفعت أقصى زاوية شفتيها اللتين صارتا فى سمك الشفرة الحادة مع تجاعيد حولهما لا تحصى ..

أين هم الآن ؟!، فقد ذهبوا !..

- كلنا لها، فما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع.

نظرت إلىّ بطرف عينيها ساخرةً ومن خلال صوتها الواهن:

- هاها .. ليس شرطًا أن يطير!.....

موت الزمار

***

قتله الفضول فصمم على قتلها ،لم تستطع الهروب ولا المواجهة ، مات.

مصير

***

لمّا فشل فارس الكلمات فى مواجهتها؛ أطلق قنابل الشائعات، تربعتْ على عرش الصمت ملعبها القديم .

تكيف

***

حاول كسري ،غلف شماتته وتهديده بنصيحة، اقتحمتُ عينيه، تراجعَ منكمشًا.

سلاح

***

أسرتى تنادينى يا خدامة فأهبُّ مرتعبة، صاحباتى ينادينني نانا فأتدلل .

من أنا ؟

***

يشعر بحقارته فيجاهر بالنظر فى عينيها، تنظر باستهانة وتذهب؛ ينهار .

علاج

يقسمون بصدقه إلا هى .

- أنت غشاش .

أعترفُ.

ثم يواصل افتراءات يصدقونها .

الصادق

***

ذهب إلى أوربا لينال الدكتوراه، لم يعد إلا بالإيدز .

***

المتذاكي

قبح الشكل يؤلمه فيجمل عرضه لذاته بموسيقى الغزل، تكتشف النشاز .

الرجل القرد

قلبى أربع حجرات تتسع لنساء العالم، لزوجتي إحداها

- لا أرضى بالعشوائيات .

لا فصال

***

قفزت من الشباك لتطعيم البنت .

عادت البنت ملسوعة بالشمعة، حتى لا تقول الصدق .

ماما لعبتْ وتفسحتْ مع عمو.

شمعة

***

لا أملك إلا عسـل الكلمات وقبح المنظر والجوهر، أدّعى صـدقًا وجمالًا يعطل العقول ويغشي الأبصار .

فائز

***

عزفَ على قيثارة الغزل لم تطربْ .

نشاز القلب لا يخطئه القلب .

وما زال يعزفُ.

غباء

- الزوج : كفى ثلاث بنات، لا أريد تجريبيًا، ولا وجعًا للدماغ.
- الزوجة: بسيطة يمكننا اختيار الذكور بعملية أستطيع دفع ثمن عشر منها .
- الزوج: الأسهل زوجة أخرى .
- الزوجة: ومزيد من التجريب ؟!.
- الطبيب: وإذا لم نجد غير الإناث ؟.
- الزوج: يمكنك التخلص منهن .
- الطبيب: أنا لا أئد إناثًا.

ومازال مسلسل وأدنا مستمرًا

***

جاءها يتحسس طريقه..

- ابتسامة شفتيك وحديثك المرح يخفيان حزنك .
- أشم فى صوتك الأمل والأمان .
- قبلت زواجك .

بصيرة

***

بحثت عنه بين وجوه البشــر، بين زخات المطر، فوق ســطح القمر، فى كل أنحاء الوطن فلم تجده .

وجدها تحت جلده.

لا فكاك

بحرها الواسع أخفته بسحرها، لكن كل من اقترب ذاق من فيضها دون أن يعرف المصدر وذهب، إلا هو فك طلسمها بعذوبته؛ فنال وصالها وخلد .

اكتمال

أحبته وتفانت فى إخلاصها له، تركها وأولادهما كالبيت الوقف .

هكذا نحن عشاق المقهى

تمت بحمد الله

سيرة ذاتية

الاسم : عبير عبد الله ياسين تمساح

الشهرة : عبير عبدالله

المؤهل: ليسانس دار العلوم، دبلومة البحوث والدراسات التربوية

العمل : معلمة لغة عربية

- عضو مؤسس مجلس إدارة ملتقى السرد العربى وسكرتيرة الملتقى.

- عضو الاتحاد العالمى للمبدعين العرب.

- عضو صالون نهاد شريف للخيال العلمى - شعبة الخيال العلمي باتحاد الكتاب .

- عضو نادي أدب قصر ثقافة الجيزة .

- عضو رابطة الأدب الإسلامى.

- عضو ملتقى نقاد ومبدعي أدب الطفل برئاسة الكاتب الكبير يعقوب الشاروني.

الإنتاج الأدبى :

- مجموعة قصصية عن دار الأجيال بعنوان : صياد الهوى سنة ٢٠٠٩.

- ملكة متوجة عن دار سندباد للنشر سنة ٢٠١١ .

- المشاركة فى بعض البرامج التليفزيونية والإذاعية خاصة برنامج من الخيال العلمى بإذاعة صوت العرب.

- نشر بعض القصص والمقالات النقدية فى كثير من الجرائد والمجلات المصرية والعربية مثال (مجلة أدب ونقد – مجلة حواء – الأهرام المسائي – المساء – ....).

مشاركات

- المشاركة في هيئة التحكيم لمسابقة (الجمعية المصرية لأدب الخيال العلمي).
- المشاركة في مؤتمر أدباء مصر بالمنيا ديسمبر ٢٠١٦.
- المشـــار كة في مؤتمر الخيال العلمي شـــعبة الخيال العلمي باتحاد الكتاب والتكريم فيهما .
- ....، ....

تحت الطبع :

- بنات ثانوى قصص تفاعلية تنمية بشرية.
- سلاسل قصصية للأطفال.
- القصة القصيرة فى ملتقى السرد العربى (إضاءة نقدية).
- على هامش صالون نهاد شريف للخيال العلمي (إضاءة نقدية).

الفهرس